وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⴰⵢⵏⵜⵣ ⵏ ⵜⵓⵙⵏⵜⵉⵡ ⵜⵏⵜⵙⵅ ⴰ ⵜⵎⴰⵢⵜ ⵜⵓⵎⵎⴰ

ⵅⴰⵓⵔⵙⵜⵅ ⵏⵍⵜⵙⵏⵜⵡ ⴰⵅ ⵔⵃⵜⵔⵔⵜⵙ ⵏ ⵅⵜⵣⵣⵜ ⵜⵣⵣⵜ

ⵅⴰⵣⵜⵜⴰⵙⵅ ⵏⵜⵓⵣⵏⵜⵏⵏⵉ ⵡ ⵅⵜⵅⵏⴰⵙⵏⵉ

UNIVERSITÉ MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTÉ DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes
.

جامعة مولود معمري تيزي وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

رقم الترتيب:.....

الرقم التسلسل:.....

مذكّرة تَخَرُّج لِنَيْلِ شَهَادة المَاستر

الميدان: لغة وأدب عربي.

الفرع: دراسات أدبية.

التخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر.

صراع الهوية والبحث عن الذات
في رواية رائحة الذئب لسامية بن دريس

إعداد الطالبتين:

- هانية محمدي.

- وردية موساوي.

إشراف الأستاذة:

ويزة أعمارة.

لجنة المناقشة:

د/ ليندة عمي، أستاذة محاضرة "أ"، جامعة مولود معمري تيزي- وزو .....رئيسًا.

د/ ويزة أعمارة، أستاذة محاضرة "أ"،جامعة مولود معمري، تيزي- وزو..... مشرفًا ومقرّرًا.

د/ حكيمة حبي، أستاذة مساعدة "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي- وزو .....ممتحنًا.

2024 -2023

شكر وعرفان

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" من لايشكر الناس لم يشكر الله عز وجل" فالشكر لله سبحانه وتعالى.

الحمد لله الذي وهبنا التوفيق والسداد ومنحنا الرشد والثبات وأعاننا على كتابة هذه المذكرة وانجازها.

فنرجو من الله أن تكون في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة "أعمارة ويزة" التي أكرمتنا بقبولها الإشراف على مذكرتنا وما قدمته لنا من نصائح وتوجيهات وتصويب للأخطاء.

إهداء:

لم يكن الحلم رحلة قصيرة، لم يكن الحلم قريبا ولا الطريق كان محفوفا بالتسهيلات، لكنني فعلتها ونلتها.الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا، الذي بفضله ها أنا اليوم انظر إلى حلما طال انتظاره وقد أصبح واقعا افتخر به.إلى ملاكي الطاهر، وقوتي بعد الله، داعمتي الأولى والأبدية "أمي" أهديك هذا الإنجاز الذي لولا تضحياتك لما كان له وجود، ممتنة لأن الله قد اصطفاك لي من البشر أما يا خير سندوعوض.

إلى من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل

"أبي".

إلى من قيل فيهم:

(سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ)

إلى من مدّ يده دون كلل ولا ملل وقت ضعفي

"أخي" أدامك الله ضلعا ثابتا لي.

إلى من أمنت بقدراتي وأمان أيامي "أختي الكبرى".

إلى من تذكرني بقوتي وتقف خلفي كظلي"أختي الصغرى".

هانية

إهداء:

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفةوأعانني على أداء هذا الواجب ووفقنيلإنجازه

أهدي ثمرة جهدي إلىالتي تملك جنة تحت قدميها"أمي الغالية"

إلى "أبي العزيز" الذي لم يبخل علي يوما بشيء وعلمني الصمود

إلى قرة عيني أخي"سعيد" وعائلته

إلى أختي" ميليسة" وعائلتها

أدعو الله أن يحفظهم ويطول في عمرهم

إلى خطيبي "علي" الذي ساندني طيلة مشواري الجامعي وشجعني على الصبر والمواصلة

إلى صديقتي "هانية" التي ساندتني في عملي

واخص بالذكر أستاذتي المشرفة "أعمارة ويزة" التي وقفت على المنابر وأعطت من حصيلة فكرها لتنير دربنا

وردية

مقدمة

عرفت الرواية حضورا كبيرا في الساحة الأدبية مقارنة بالأجناس الأخرى، وتعرف على أنَها إحدى القوالب المطولة،كما تتميز بخصائص تجعلها أقرب إلى واقع الإنسان، فحاجة الإنسان إلى تصوير الأحداث الواقعة له ومشاركة أحاسيسه مع الغير حاجة فطرية، وتبقى الرواية دائما المرآة التي تعكس أبرز القضايا الإنسانية، وتقوم على تشريح الواقع وتكشفه بطريقة فنية وجمالية مما يجعلها في تطور دائم، ومن بين تلك القضايا التي شغلت فكر الباحثين والمفكرين قضية الهوية.

تعد الهوية موضوعا حساسا يستحق البحث والدراسة بمختلف الوسائل المتاحة، فالهوية تمثل شعور وانتماء الفرد، ونقطة انطلاق تحرك أهدافه وتحقق طموحاته، فغياب الهوية يحدث خللا في المجتمع.

وبهذا جاء موضوع بحثنا الموسوم ب" صراع الهوية والبحث عن الذات"، حيث وقع اختيارنا لمدونة جزائرية للكاتبة "سامية بن دريس"في رواية " رائحة الذئب".

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى دافعين أولهما ذاتي وآخر موضوعي، فالذاتي يتمثل في الميول إلى قراءة الروايات، ورغبة الاطلاع على مضامين الروايات الجزائرية، أما الدافع الموضوعي فيتمثل في استجلاء الهوية في رواية "رائحة الذئب" وتعرية دلالاتها وصولا إلى ما تخفيها من مقاصد، ومدى تمسك الكاتبة بالهوية الوطنية، والكشف عن أبعاده الاجتماعية والسياسية، ومن هنا تحددت الإشكالية الرئيسية للبحث وهي: **كيف تجسد صراع الهوية في رواية "رائحة الذئب"؟ وكيف كشفت البطلة ذاتها؟**

وقد تفرعت منها مجموعة من التساؤلات الجزئية سعينا للوقوف عندها من خلال التحليل الروائي ومن أهمها: **ما مفهوم الهوية والصراع؟ كيف تجلت الهوية في الخطاب الروائي؟ ما طبيعة الصراع؟ كيف كان صراع المرأة الجزائرية في الخمسينات؟ ما هي العلاقة التي تجمع بين الهوية والانتماء؟**

اعتمدنا في بحثنا آليات المنهج الثقافي مستعينين بالتحليل والوصف من أجل تحليل الرواية ووصف قضية الهوية. عليه جاءت خطة البحث على الشكل التالي: مقدمة وفصلين وخاتمة، ف**الفصل الأول** جاء بعنوان **الجهاز المفاهيمي** الذي انقسم إلى مبحثين، الأول تضمن **مفهوم الهوية،** مفهوم الصراع ثم بعد ذلك كشفنا عن **الهوية في الخطاب الروائي،** أمَا المبحث الثاني تناولنا فيه صراع الهوية في الرواية الجزائرية ثم انتقلنا الى طبيعة الصراع منتهيا بالهوية والسرد.

أمَا **الفصل الثاني** الموسوم **برحلة الكشف عن الهوية وأزمة الصراع في الرواية** ،قسمناه إلى مبحثين أيضا، فالمبحث الأول تناولنا فيه **دور المرأة الجزائرية في الخمسينات** يليها **النبش وراء الحقيقة،** أما المبحث الثاني عرضنا فيه **إثبات الهوية** وبعدها درسنا **الهوية والانتماء** ثم أشرنا إلى عنصر **الهوية والشخصية** ثم تعرضنا **للتمثلات الثقافية في الرواية.** وختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.

اعتمدنا في انجاز هذا العمل على مجموعة من المصادر والمراجع فسحت لنا الطريق وسهلت لنا عملية إتمام البحث، أهمها :

- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية لمحمد عمارة.
- الهوية العربية صراع فكري وأزمة الواقع لعهد كمال شلغين.
- الهويات القاتلة لأمين معلوف.
- علم النفس العام لثائر غاري وآخرون.
- الصراع الاجتماعي لنادية عيشور.

معروف أنَ كل بحث لا يخلو من صعوبات يواجهها الباحث وهو يجول في مصادر البحث بحثا عن ما يتلاءم مع إشكالية بحثه، ولعل من بين الصعوبات حداثة الرواية وجدتها، لم تحظ

بدراسة معمقة ما صعب علينا الفهم الجيد لها، إضافة إلى قلة المراجع بخصوص هذا الموضوع.

في الأخير نشكر الله عز وجل الذي أعاننا ويسر لنا كل ما تعسر وما التوفيق إلاَ به، ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر والتقدير لأستاذتنا المشرفة **أعمارة ويزة**، التي أشرفت على هذا العمل والتي كان لها الفضل فيما قدمته لنا من يد العون، كما أنَها لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها القيَمة من بداية البحث حتى آخره.

الفصل الأول: الجهاز المفاهيمي

المبحث الأول: مفهوم الهوية والصراع

1. مفهوم الهوية لغة واصطلاحا.

2. مفهوم الصراع لغة واصطلاحا.

3. الهوية في الخطاب الروائي.

المبحث الثاني: تجليات الهوية في رواية رائحة الذئب

1. صراع الهوية في الرواية الجزائرية

2 –طبيعة الصراع.

3–الهوية والسرد

المبحث الأول: مفهوم الهوية والصراع

تعتبر مسألة الهوية من أبرز المواضيع، التي حازت باهتمام كبير من قبل ألمع الألقاب والأسماء الذين انحصروا بين الدارسين والفلاسفة والباحثين.

1. مفهوم الهوية لغة واصطلاحا:

تعددت المفاهيم اللغوية في القواميس العربية من أهمها:

أ. لغة:

وردت لفظة الهوية في معجم الوسيط على أنها:"الهوية (في الفلسفة) حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غير هو البطاقة الشخصية وبطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولوده وعمله وتسمى البطاقة الشخصية أيضا (محدثة)[1]،" نستشف بأن الهوية هي بمثابة البطاقة التي تحمل معلومات خاصة للشخص كاسمه ولقبه وتاريخ ومكان مولده،لغرض تمييزه عن سائر الناس.

وفي تعريف آخر للهوية :"البئر البعيدة القعر"[2]، نفهم من هذا السياق أن الهوية تشبه البئر التي تخفي في عمقها أشياء لا نستطيع رؤيتها بالعين .

كما جاءت كلمة الهوية في معجم الوجيز:"(هوى) الشيء هُوِيًا: سقط من علو إلى سفل"[3]. تبلور معنى الهوية في معجم الوجيز على أنها السقوط من مكان أعلى نحو الأسفل. ومعنى ذلك يتجلى في قوله تعالى:﴿والمُؤْتَفِكَةُ أَهْوَىٰ﴾[سورة النجم- الآية 52]فيما حلّ بقرية سذوم-قوم لوط- حين جعل الله عاليها سافلها.

[1]- مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية،ط4، القاهرة، 2004، ص 996.

[2]-المصدر نفسه، ص 1002.

[3]- مجمع اللغة العربية: معجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم،د.ط، القاهرة،1994، ص 666.

كما اكتفى "**محمد عابد الجابري**" في تعريفه للهوية على أنها: "وجود ماهية والماهية ليست معطى نهائي بل هي شيء يشكل، شيء يصير"[1]، بمعنى أنّ الهوية شيء حقيقي يتمتع بها الفرد ويمكن أن تتغير وتتأثر بالوسط الخارجي.

عرفها "**الجرجاني**" في قوله: الهوية هي "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق، اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"[2]، على ضوء هذا القول نستنتج أن الهوية هي تلك النواة الصغيرة التي تحمل في جوفها حقائق ثابتة لا يعلم غيبها إلّا الله الذي سوّاها.

ب. اصطلاحا:

عند البحث في مفهوم الهوية كمصطلح، صادفتنا مجموعة آراء متناوبة جمعت الباحثين والنقاد والفلاسفة، لهذا نجد من الرؤى الشائعة للهوية في الوسط الأدبي تعريف"**محمد عمارة**" في قوله :"فإنّ هوية الشيء هي (ثوابته) التي تتجدد ولا تتغير... تجلى وتفضح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة إنّها كالبصمة بالنّسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره، وتجدد فاعليتها ويتجلى وجهها كله لغيرها من البصمات"[3]، إذن الهوية تحتل صورة ثابتة غير متأثرة لا تُمْسَحُ مادامت الذات قائمة، وهي خاصية تميز الأمم عن بعضها معبرة عن الحضارة والشخصية والوجودية.

يذهب **أليكس مكشيللي ALEX MUCCHIELLI** إلى أن الهوية :"منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، تتميز بوحدتها التي تجسد الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة العناصر المادية والتمايز والديمومة والجهد المركزي"[4]، فالهوية عنده مجرد مفهوم يقوم على معاني متعددة ومدلولات من مختلف الاتجاهات التي تميز الفرد عن آخر، أو هي عبارة عن شعور يحس به داخليا.

---

[1]– محمد عابد الجابري: مسألة الهوية، العربية والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية،ط3نبيروت،2006ص10.

[2]–الشريف بن أحمد علي الجرجاني :معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ،القاهرة،د.ط، 2004م،ص216.

[3]–محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية،دار نهضة مصر للطباعة النشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 1999، ص6.

[4]– أليكس مكشيللي: الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، ط1، دمشق، 1993، ص129.

ولـ "**حسن الحنفي**" نظرة أخرى للهوية، يقول:"ليست الهوية موضوعا ثابتا أو حقيقة واقعة بل هي إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية لأنها إحساس بالذات والذات حرة...، الهوية إذن ليست شيئا معطى بل هي شيء يخلق"[1]، فرأيه يقوم على ثنائية الثبات والتغير، وذلك أنّ الهوية قائمة على الحرية وهي شيء ثابت. أي بمعنى آخر الحرية جزء لا يتجزأ من الهوية، حيث تعبر عنها وعن ذاتها الحرة،فهي ذلك الشيء المكتسب وليس الشيء الذي يقدم.

كما أشار" **مراد وهبة**" إلى الهوية في معجمه الفلسفي قائلا: "الهوية تطابق بين فئتين إذا كان لكل من الفئتين نفس الأعضاء... ويعبر عن الهوية بالرمز"[2]، أي بمعنى اشتراك فردين أو أكثر في نفس الأعضاء.

من المفاهيم الأخرى للهوية نجد: "ما يسمى اصطلاحا "بطاقة الهوية" الشهر واسم ومكان وتاريخ الولادة وصورة وتعداد لبعض الصفات الجسدية والتوقيع وأحيانا بصمة الشخص، وهي مجموعة كاملة من البيانات للدلالة دون سبب ممكن، على أنّ حامل هذه الوثيقة هو فلان، وأنّه لا يوجد بين مليارات الناس الآخرين شخص واحد يؤخذ خطأ على أنه هو حتى لو كان بديله أو أخاه التوأم"[3]، انطلاقا من هذه المقولة استخلصنا أن الهوية هي تلك البطاقة التي تجمع فيها عدة بيانات مادية ومعنوية التي تخص شخص ما تميزه عن غيره من الأفراد.

وتشير "**ماجدة حمود**" في قولها أنّ الهوية:"هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذا تلازمه مكونة شخصية، ومحددة معالمه بشكل ثابت،مما يمنح إبداعه طابعا خاصا، فلا يكون مسحا للآخرين، لهذا تعد شرطا ملازما للفرد"[4]، فالهوية هو ذلك الإطار الثابت الذي يعبر عن شخصية الإنسان، وهو عنصر ضروري يجب أن يكون لدى كل فرد.

كذلك تعرف الهوية أيضا على أنّها: "مجموعة من الخصائص التاريخية واللغوية والنفسية التي تفضل بين جماعة وأخرى،الأمر الذي يجعلها تخرج من إطار الثبات،فهي نتاج حركة متعاقبة لجملة من

[1]–حسن الحنفي: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة الفرنسية،ط1،دمشق،2012،ص 23.

[2]– مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع،د.ط،القاهرة،2007،ص668.

[3]–أمين معلوف:الهويات القاتلة،تر:نبيل محسن،ورد للطباعة والنشر والتوزيع،د.ط،دمشق،1999،ص13.

[4]–ماجد ة حمود: إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية،عالم المعرفة،د.ط، الكويت،2013،ص15.

الشروط..."[1]،نستدرك أنّ الهوية تقتضي على مجموعة من المميزات ذات طابع تاريخي ولغوي ونفسي شعوري تميز الفرد عن الآخر.

2. مفهوم الصراع لغة واصطلاحا:

أ. لغة:

جاءت كلمة الصراع في معجم لسان العرب على أنّها:"الصَّرعُ الصِّرعُ والضِّرع: الضَّرْبُ والفَنُّ من الشَّيء والجمع أصْرُعُ وصُرُوعُ. وروى أبو عُبَيد بيتَ لبيد:

وخصم كبادي الجِن أَسْقَطَتْ شَأْوَهُم مستوحذ ذي مِرَة وصُرُوع

بالصَاد المهملة،أي بضروب من الكلام. وقد رواه ابن الأعرابي بالضَاد المعجمية، وقال غيره:صُورُعُ الحبل قواه. ابن الأعرابي: يقال هذا صِرْعُهُ وصَرْعُهُ، وضرعه وضَرْعُهُ...، هكذا رواه الأصمعي،أي له منهنَ مثلُ،قال ابن الأعرابي:ويُرْوَى،ضرِعُ،بالضادِ المعجمية،وفسره بأنهُ الحلبةُ"[2]، هذا المفهوم يحمل معنيين، المعنى الأول يتمثل في المعنى الحسي وهو أن الصراع عبارة عن مصارعة أي قتال، وهو تضارب بين شخصين لمعرفة من هو الأقوى،أما المعنى الآخر يقتضي على المعنى المعنوي، أي التضارب عن طريق الكلام.

أما في معجم الوجيز ورد تعريف الصراع على أنه:"(صارَعَهُ) مُصَارَعَةٌ وصِرَاعًا: غالَبَه في المصارَعَةِ"[3]، وهذا ما أشار إليه فيروز أبادي في قوله: "الصَّرعُ ويكسرُ الطرح على الأرض كالمصرع كمقعد وهو موضعه أيضا وقد صَرَعَهُ كمنعه والصرعةُ بالكسر"[4].

نفهم أنَّ الصراع يقصد القتال، الذي يحدث بين طرفين و يسعى كل طرف منها إلى تحقيق غايته على حساب الطرف الآخر، ويمثل هذا في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وثَمَانِيَةَ أَيَامٍ حُسُومًا

---

[1]–عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع، الهيئة العامة السورية للكتاب،د.ط، دمشق،2015،ص7.

[2]–بن المكرم بن علي أبو فاضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار المعارف، ط1، القاهرة، ص2433.

[3]–مجمع اللغة العربية: معجم الوجيز ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،د.ط، القاهرة، 1993، ص363.

[4]–مجد الدين الفيروز آبادي الشيرازي: قاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، ج1، القاهرة،2008،ص924.

فَتَرَى الْقَومَ صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَاز نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[سورة الحاقة – الآية 7]، فيما حلّ بقوم عاد حين ابتلاهم الله بالرياح شديدة وباردة في عز الشتاء، فمن شدة العذاب بدو على شكل أصول نخيل الفاسدة والمتآكلة، لمدة دامت ثمانية أيام.

ب. اصطلاحا:

جاء مفهوم الصراع في معناه الاصطلاحي على أنّه: "في الأصل نزاع بين شخصين يحاول كل منهما أن يتغلب على الآخر بقوته المادية، كالصراع بين الأبطال الرياضيين أو الصراع بين الدول في الحرب، ويطلق الصراع مجازا على النزاع بين قوتين معنويتين تحاول كل منهما أن تحل محل الأخرى"[1].فيتبين هذا القول أنّ الصراع يقصد به ذلك النزاع الذي يحدث بين البشر، وقد يكون النزاع ماديا أو معنويا.

في نفس الصدد ذكر مصطلح الصراع في معجم العلوم الاجتماعية "**لأحمد بدوي**" على أنّه: "أحد أنماط التفاعل الاجتماعي الذي ينشأ عن تعارض المصالح وهو الموقف التنافسي حيث يعرف كل المتنافسين عزيمة ويدرك أنّه لا سبيل إلى التوفيق بين مصالحه وبين مصالح الغريم فتقلب المنافسة بينهما إلى صراع حيث يعمل كل منهما على تحطيم الآخر والتفوق عليه"[2]، وتماشيا مع ما تم ذكره يمكننا القول أنّ الصراع يصنف على أساس أحد أنماط التفاعل الاجتماعي الذي يخلق بسبب عدم التفاهم حول مصلحة معينة، فتنقلب تلك المصلحة إلى منافسة التي تتحول بدورها إلى مضاربة نتيجة التفاعل الزائد.

ويؤكد البعض أنّ الصراع "وسيلة لتعبير عن التوتر والتأزم لمظاهر مختلفة من السلوك يتشكل بجموعها مظاهر الصراع"[3]، على ضوء هذه العبارة نستنتج أنّ الصراع يستخدم كوسيلة للإفصاح عن المكبوتات التي تنسج تحت مسمى الصراع.

ويذهب "**إبراهيم فتحي**" إلى أنّ : "تضارب أو نزاع يسمى تضاد الأشخاص أو القوى الذي يعتمد عليه الفعل في الدراما والقصة صرعا، والصراع الدراسي هو الصراع الذي ينمو تفاعل قوى متعارضة (أفكار

---

[1]–جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني،ج1،بيروت،1982،ص726.

[2]–أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات الاجتماعية إنجليزي، فرنسي،عربي، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت، 1982،ص79.

[3]–جريني رج بارون: إدارة السلوك في المنظمات، تر: رفاعي محمد رفاعي وإسماعيل علي بسواني، دار المريخ، الرياض 2004، ص488.

ومصالح وإرادات) في حبكة ويمكن القول أنّ الصراع هو إعادة تبنى منها الحبكة"[1]، وهذا ما أكده **مجدي وهبة** في قوله :" أنّ الصراع عبارة عن تصادم بين الشخصيات أو النزاعات التي تؤدي إلى الحدث في المسرحية أو القصة، وقد يكون هذا التصادم داخليا في نفس إحدى الشخصيات أو بين إحدى الشخصيات وقوى خارجية كالقدر أو البيئة أو بين شخصين تحاول كل منهما أن تفرض إرادتها على الأخرى"[2]، بمعنى أنّ الصراع يمكن أن نجده أيضا في القصة حيث يمس الشخصيات لهذا لا يمكن أن تحضر القصة بدون الصراع ما جعله يحتل مركزا مرموقا فيها.

استنادا على ما سبق ومن خلال ما تطرقنا له نستنتج أنّ الصراع سلوك طبيعي فطري يمر به الفرد في محيطه وبين ذاته الخاصة قبل تعرضه لصراع مع الطرف الآخر، الناجم عن اختلاف اللغات والاتفاقات بين الأمم، بالإضافة إلى أنّه تنافسي يكون فيه أطراف الصراع مدركين للتعارف فيما بينهم.

3. الهوية في الخطاب الروائي:

قبل الشروع في الحديث عن الهوية في الخطاب الروائي، نتطرق أولا إلى تعريف الخطاب الذي عرّفه **زيليغ هاريس**Zelllg Harris**على** النحو التالي: "أنَّه ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل"[3]،وهذا ما أشار إليه **جون كارون**John Caronn، حيث يرى أنّه :"متتالية منسجمة من الملفوظات"[4]،منه يمكن تشبيه الخطاب بالسلسلة التي تتألف من مجموعة من العقد المتشابكة فيما بينها.

ومن زاوية أخرى يعرفه **إميل بينفنيست E .Benveniste** على أنه :"كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير في الثاني بطريقة ما"[5]، إذن الخطاب هو لفظ أو الكلام قصده إثارة

---

[1]–إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأبدية، التعاضدية العالمية للطباعة والنشر، ع1،الصفاقص،تونس 1986، ص222.

[2]–كامل المهندس، مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،، مكتبة لبنان، ط2،بيروت، 1984، ص224.

[3]– سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي الزمن، السرد، التبئير، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1997، ص17.

[4]– المرجع نفسه ، ص19.

[5]– سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي الزمن ،السرد ، التبئير، ص24.

السامع. هذا من ناحية تعريف الخطاب، أما من ناحية أخرى نتساءل عن: ما الهوية في الخطاب الروائي؟

الخطاب الروائي هو نوع من الخطاب الأدبي، يستخدم في الرواية كونه يتميز بتقنيات وأساليب التي تستعمل للصياغة وسرد الأحداث والشخصيات، بهدف إيصال الرسالة للقارئ محاولا بذلك إثارة الاهتمام. ولعل مسألة الهوية أحد أهم القضايا المتعلقة بمثل هذا النوع من الخطابات.

لهذا يبرر "**سعيد يقطين**" قائلا:"قبل أن نتحدث عن الخطاب الروائي، نرى أنّ من الضرورة قبل تحديده كخطاب أولا وكمكونات وخصائص ثانيا، ومن خلال تحليلات معينة للخطاب ثالثا، أن نقدم توضيحين،كان الأولى أن نتحدث عن الخطاب الحكائي أو السردي، بدل الحديث عن الخطاب الروائي لسبب بسيط هو أنّ التحليلات التي سنقوم بقراءاتها أجريت على خطابات تقوم أساسا على الحكي، ومنه نستمد طابعها الحكائي (قصص، روايات، حكايات) "[1]، حسب ما أتى به سعيد يقطين في هذا القول أنّ الخطاب الروائي هو بمثابة خطاب سردي (حكائي)، كونه يستعين بمكونات حكائية منها الزمان والشخصيات والأحداث، وفي نفس النطاق يقول: "الخطاب الروائي –ينتج–عن ثلاث مكونات هي الزمن، الصيغة والرواية السردية"[2]، من هذا السياق نلاحظ بأنّ سعيد يقطين يصّر على أنّ الزمن والصيغة والرواية السردية من بين أهم المرتكزات التي يقوم عليها الخطاب خاصة الروائي.

منه انبثق ما يسمى بالخطاب الروائي الجزائري حيث: "وضع أسئلة الهوية كمركز ثقل في مشروعه الروائي على تحقيق مجموعة من الأهداف، لعل أبرزها خلق نوع من التأليف بين المبدع والقارئ،وخاصة إذا كان الاثنان ينتميان إلى إطار هوياتي واحد، ولهذا يعتمد المؤلف على البحث عن الأدوات والوسائل اللغوية التي تثير المتلقي من خلال إثارة الشعور عنده بالانتماء إلى الوطن والأمة أكثر من أي وقت مضى، فيتحول الخطاب الروائي إلى عنصر داعم في بناء روح الهوية عند القارئ والمبدع على حد سواء، يحدث ذلك من خلال التساؤلات التي يطرحها النص الروائي على المتلقي"[3]،فالهوية هنا احتلت

[1]– سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي الزمن ،السرد ، التبئير، ص27–28.

[2]– المرجع نفسه، ص 8.

[3]– كمال طهير: أسئلة الهوية في الخطاب الروائي المعاصر، الحب في حضرة الأعور الدجال لعز الدين جلاوجي – أنموذجا–، مجلة الآداب، ع 1، خنشلة، الجزائر، 2019، ص 14.

مكانة راقية وبقعة هامة في مشروع الخطاب الروائي الجزائري، كونها تقدم عملا إبداعيا لتجمع بين المؤلف والقارئ في فضاء روائي واحد خاصة إذا كانت تجمعهم هوية واحدة، لهذا يحرص المبدع على استحضار الرموز لجعل المتلقي في حالة إثارة ولإحساسه بالانتماء إلى وطنه. منه يصبح الخطاب الروائي العمود الذي بفضله تتشكل الهوية لدى طرفي المؤلف والقارئ،وهذا من خلال الإشكاليات التي يفرزها النص على المتلقي الذي يجب بدوره تفكيك شفرات ذلك النص.

علاوة على ذلك فالهوية في الخطاب الروائي الجزائري :"عبارة عن نسق ثقافي نستكشف من خلاله كينونة الذات وخصوصيتها، أي ما يميز الذات عن الآخر لنقف بذلك على مبدأ الاختلاف مع الآخر كصورة تعكس الصراع الجدلي القائم بين الأنا (الجزائري) والآخر(الفرنسي) وأثر هذا الصراع على الذات وانتمائه"[1]،عليه فالهوية لم ينظر لها فقط كمكون روائي بل نظر إليها كإشكالية ثقافية تحدد الفرد عن غيره.

إنّ إشكالية الهوية انعكست على مختلف الممارسات الثقافية من الخطابات السياسية والفكرية. وهذا ما سنحاول إبرازه من خلال دراستنا لرواية "**رائحة الذئب** "ل .**سامية بن دريس**، التي تمكنت عبر قلمها الأدبي أن تعيد الروح لتاريخ الجزائر فمثلت لنا أهم أحداث تلك الفترة، وخاصة ما مارسه الاستعمار الفرنسي في حق الشعب ولعل البطلة سارة إحدى هذه الضحايا.

تدور أحداث الرواية في إحدى قرى الشرق الجزائري، بطلتها **سارة بنجامين** ابنة **نوارة** التي سُرِقت منها الحياة وهي في عز شبابها، بعد أن هجم عليها الذئب **جوزيف رومان**، فخرجت من رحمها الثمرة الحرام الطفلة الشابة **حورية** بعد أن سلبت منها هويتها فتحولت إلى **سارة بنجامين** ابنة **السيدة راشيل**. التي اصطحبتها للعيش معها في بلاد أجنبية (فرنسا)، التي كانت تحجب صورة الحقيقة داخل صندوق مغلق، لكن سارة لم تتخلى عن حلمها بل باتت محاولة لتفتح ذلك الصندوق هذا ما جعلها تدخل في دوّامة التساؤل عن أصلها؟ وعن اسمها الحقيقي ؟...بعد مرور أربعين سنة تعود مع زوجها أحمد إلى أرض الوطن (الجزائر)، باحثة بذلك عن والديها وعن شخصيتها ونسبها وهويتها الحقيقية.

[1]– نبيلة فراحتية ونعيمة بوزيدي: تشظي الهوية وانشطار الذات في الخطاب الروائي الجزائري ما بعد الكولونيالي، قراءة في روايتي "الانطباع الأخير وما لا تذروه الرياح"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع 1، البليدة– الجزائر، مارس 2021، ص 750.

انطلاقا مما سبق ومن خلال ما تعرضنا له في الرواية، نستنتج أنّ الخطاب هو ذلك العنصر الأساسي من عناصر اللغة، الذي لا يخلو منه الأدب أو هو القالب الفني الذي يجسد الأحداث الحية ذلك عبر دلالات ومفاهيم منظمة، التي تحددها لغة الراوي ليعكس بذلك أهم المشاكل التي يعاني منها الوسط الاجتماعي، ومن بينها الهوية التي احتلت جزءا مركزيا في الخطاب الروائي كونها العنصر الذي يبنى عليه روح الخطاب.

المبحث الثاني:صراع الهوية في الرواية الجزائرية

1 تجليات الهوية في رواية رائحة الذئب:

إنّ الرّواية الجزائرية كأي رواية عربية، تسعى دائما لبناء جسر تفعمه الدلالات فيها تجسد ما عاشه الإنسان وما يعيشه في مجتمعه الحضاري والثقافي من أوجاع وألام وتمرد وحرمان كلها تجتمع تحت سقف واحد إنّها الرواية التي أنجبت من رحمها عمالقة الأدب الذين علقت أسمائهم في جدرانها وحفرت في ذاكرتها، أمثال: مولود فرعون، كاتب ياسين، طاهر وطار...كلّهم لمعت أسمائهم في فضاء روائي نظرا لما قدموه من إبداعات فنية، ولعل من أبرزها والتي أثارت جدالا واسعا هي ثنائية "صراع الهوية".

تعد ثنائية صراع الهوية من أهم المواضيع الخصبة التي طرحها المتن الروائي والجزائري خاصة، حيث شكلت هذه الأخيرة آفاقا للأديب الجزائري والذي راح بدوره يحفر في أغمارها بامتياز، فتحولت بذلك تجربته الأدبية إلى مغامرة شاقة أخذت كل طاقته وهو يصور حياة الفرد داخل مجموعة مراقبا كل تحركاته التي يقوم بها، ونجد من بين الذين سالت أقلامهم الكاتبة " **سامية بن دريس**"، التي تمكنت عبر تقنياتها السردية أن تستحضر لنا صورة الشعب الجزائري وما عاشه إبان الثورة كل هذا ينضم تحت سقف الرواية المعنوية ب"**رائحة الذئب**".

.العنف:

تعد ظاهرة العنف من بين الظواهر الاجتماعية التي عاشتها المجتمعات عبر العصور بمختلف أشكاله، الذي يمس كل النواحي البشرية من ثقافية وسياسية واقتصادية والمجتمع بشكل خاص، لكن هذه الظاهرة السلبية لا تقتصر فقط على الحياة الفردية بل عرفتها حتى المجتمعات والدول. فالعنف :"مجموعة من

السلوكيات التي تهدف إلى إلحاق الأذى بالنفس أو بالآخر، ويأتي بشكلين إما بدني مثل: الضرب التشاجر أو تدمير وإتلاف الممتلكات. والعنف اللفظي مثل : التهديد، الفتنة، الغمز، النكتة اللاذعة، وهو في الأخير يؤدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بإلحاق الأذى"[1]، كما أشار إليه "**عز الدين**" في قوله على أنّه: "فعل أو سلوك يتسم بالعدوانية يصدر من طرف فرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال أو إخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا مما لا يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة أخرى"[2].يتبين لنا من خلال هذين المفهومين أنّ العنف هو ذلك الأسلوب العنيف الذي يخلو من الرحمة،وقد يكون إما ماديا (ظاهرا) عن طريق الاعتداءات أو يكون معنويا عن طريق الكلام .

عليه جاءت الرواية الجزائرية كغيرها من الأجناس الأدبية كرد فعل عن الممارسات التي كان يقوم بها الاستعمار اتجاه الشعب إبان الثورة والتي تحيل إلى فترة الخمسينات، هذا ما شجع إلى ظهور العديد من الروايات التي رصدت لنا الواقع الجزائري المرير خلال هذه الفترة نذكر منها: **(اللاز) لطاهر وطار. (ذاكرة الماء) لواسيني الأعرج، (ما لا تذره الرياح)** للكاتب **عرعار محمد العالي، (ابن الفقير، الأرض والدم والدروب الوعرة) لمولود فرعون، (الحريق) لمحمد ديب،** ونجد أنّ رواية **(رائحة الذئب)** للروائية "**سامية بن دريس**" من الروايات التي اتخذت من عنصر العنف موضوعا لها، حيث استثمرت كثير في الأحداث الواقعية وصورت لنا أبشع الطرق التي مارسها العدو في حق الشعب، قائلة :"لمحمد ورفقائه لعيشة ولنوارة وفتيحة وقويدر ولمصطفى كلهم ذهبوا هكذا لمجرد نزوة، الطائرة الصفراء اللعينة رمدتهم جميعا في الحفرة...، أترى تلك الآلة الحدباء الصدئة، تلك هي آلة الموت الرهيبة التي نفستهم أحياء تحت التراب"[3].

تصف الروائية تغلغل القوات الفرنسية عبر القرى:"كانت الإشارة الأولى قد انطلقت منذ يومين حيث اكتست القوات الفرنسية كامل القرى في الجوار، حمارة وعرب الواد والفايحة والمرابطين، لقد جاء الانتقام من عملية مركز الشرطة"[4]. وتعدد بعض الضحايا :"بعد أسبوع ماتت الطفلة فتيحة بنت لخضر ولد

---

[1]- مسلم صحيح: كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل لرفق، رقم الحديث 2594، دار الحديث، ط1،د.ب،1991، ص 2003-2004.

[2]- خالد عز الدين: السلوك العدواني عند الأطفال، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2010، ص139.

[3]- سامية بن دريس: رائحة الذئب، دار ميم للنشر، ط 1، الجزائر، 2015، ص 140-141.

[4]- المصدر نفسه، ص 142.

الدارجي، المسكينة وجدناها بين أشجار الصبار كما ولدتها أمها، لم تكن سوى طفلة، حبة مشمش نيئة ومع ذلك لم تنج من أفعالهم، ماتت تحت سوط عذابهم"[1]، يشير هاذين القولين على تلك الخسائر التي خلفتها عملية التمشيط المأمورة من طرف جوزيف رومان، فلم يفلت منها أحد بل حشدت كل شيء.

يحكي العم لعرج معاناته، يقول: "لقد صب علي دلوا من الماء البارد، دون أن تتجرأ عضلة واحدة على الاستجابة.... إلا أن الجندي رفسني بجزمته العسكرية الثقيلة على بطني وبعدها لم أعد أعرف شيئا... يبصق الجندي على وجهه مثلما يبصق على التراب، ثم رع في أداء واجب الولاء للأمة الفرنسية التي حملته أعباء تعذيب هؤلاء الجزائريين، واستئصال أرواحهم"[2]، في قولها "أشعل سيجارة وأخذ نفسا عميقا ثم رماه داخل سروال الرجل الفاقد لوعيه فانتفض بقوة"[3]، يصور هنا عمي لعرج إحدى وسائل التعذيب التي كان يستعين بها الفرنسيين وأكثرها شيوعا في تلك الفترة .

تواصل الروائية في سرد أوامر التعذيب :"صب الماء البارد عليه يا فرنسوا حتى يتلذذ بدغدغة الزجاجة...، الجندي فرنسوا وهو يحمل الزجاجة اللعينة، جرب كثيرا من أنواع العذاب كما جرب الرجال عند كل عملية تمشيط، الضرب والشتم والركل... التجويع والعطش، صب الماء والصابون في فمه بواسطة الشاش، التعليق في شجرة الكافور، لكن الزجاجة هي أشبه بعذاب جهنم، أستغفر الله، هناك النار وليس الزجاجة...، دفع الجندي الزجاجة المكسورة العنق في دبر الرجل...، سال الدم على الأرض حين جذب الجندي الزجاجة ثم أعاد دفع عنقها، بينما انتفض الرجل تحت العذاب، حاول رفع رجليه المكتوفين، لوح بيديه المقيدتين دون جدوى...، مضت الزجاجة تمزق أحشاءه في لامبالاة"[4]، يكشف لنا هذا القول الأساليب التي كان يستعين بها الاستعمار مثلا: الركل، التجويع، والعطش مع صب الماء والصابون.....

وتسرد بعض مظاهر التعذيب :"ارتفعت أنفاس جوزيف رومان وبدلا من إصدار الأوامر صار ينفذها، وانتفض بعصبية واقفا، ثم التقط الزجاجة بيأس ودفعها في دبر الرجل الذي اهتز كما لو كان تحت تأثير صدمة الكهرباء، راح جسده يعلو وينخفض، تأوه بوهن، أطلق صرخة مكتومة، لكن الزجاجة مضت بعيدا

[1]- سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 142.

[2]- المصدر نفسه، ص 152.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المصدر نفسه، ص153.

في داخله، اخترقته كإبر مسمومة نفذت نحو قلبه، كز أسنانه عض شفتيه تلوى ثم انهار فوق التراب... ركله على بطنه وبين رجليه وفوق ظهره كأنما يركل كومة من الأثواب البالية ركله بحقد القرون، بأنفاس متقطعة وصوت متحشرج من الغضب مثل انكسار آنية وعواء كلب مسعور"[1].

ويقول أيضا:"سنقتلع أظفاره الكلاب لا عمل لها غير تلقي العذاب، أليس صحيحا؟...، بعد 3 أيام يكون رابح قد جرب كل أنواع العذاب: السوط، وغطس رأسه في الماء والصابون والزجاجة والكهرباء، طبعا بالنسبة للضرب والشتم والإهانة، فهي نوع رحيم من العذاب على المرء أن يضغط على صدره عند تلقيها حتى لا ينفجر"[2].

وتشير ذهبية على معاناة الطبيعة كذلك من ويلات المحتل :"على كل حال لم يكن رابح وحده هو من ذاق ذاك العذاب ولا وحده من رأى تلك الوحوش فقد شهدت عليها الأرض والسماء، الأشجار والحجارة، الغابة المجاورة مازالت سوداء وأنين أشجار الزيتون والسرو مازال يبلغ مسامعه والنار تطقطق في سيقانها"[3]، نفهم من خلال ما قالته ذهبية أنّ لم يكن رابح هو الوحيد الذي ذاق العذاب الذي كان يمارسه الفرنسي جوزيف رومان بكل قسوة وبرودة، بل كل الكائنات الحية التي كانت في تلك الأرض شاهدت جرائمه.

تقول ذهبية لزوج سارة عن لعرج :"من الصعب عليه سماع تلك التفاصيل المحرجة، أنا سمعتها من زهرة، زوجها أيضا عذب في الغرفة المظلمة ذاتها، ولكن عذاب رابح كان منكرا، لقد علقوه عاريا"[4]

تواصل ذهبية تحكي على لسان رابح "وأقع على الأرض محاولا زحزحة الصخرة التي تسد المدخل، علي أن أقتل الوحوش التي سرقت روحي، نعم علي قتلها...كان قلب البشرية ينزف مع جراحي تحت وطأة التعذيب، كانت الكرامة الإنسانية هي المذبوحة تحت أقدام الطغاة...تتوقف عيناه عند نقطة في

[1]- سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 155-156.
[2]- المصدر نفسه ، ص 156- 157.
[3]-المصدر نفسه، ص 157.
[4]- المصدر نفسه، ص158.

الأرض، تصور أنني لم أجرؤ على قول نعم اللعينة كانت طريقتي في خداع العدو وتضليل الطغاة، وطريقتي أيضا في ترويض جسدي على العذاب"[1].

"توقفت آلة العذاب وأخذ الجنود أنفاسهم وأشعل جوزيف سيجارة وراح ينظر إليه بطرف عينه وينفث دخانه السام في وجهه...، نعم يا جوزيف، إن هؤلاء الجدد يتلذذون بالعذاب، لا أدري لماذا؟"[2].

تصور الروائية نهاية رابح مع العذاب على يد المحتل "وقف رابح بين الحياة والموت فراح أهل القرية يتابعون المنظر بعيون دامعة، 3 أيام من العذاب تهد الجبال...، خرج صوت رجولي خشن وسط الجموع وتبعه طلقات رصاص وسقط رابح على الأرض"[3].

مما سبق ذكره في هذه المقاطع نستخلص أن الشعب الجزائري عاش خاضعا لأبشع طرق التعذيب بكل أشكاله وألوانه، من تعنيف مادي كالضرب وشرب الصابون والطعن بالزجاج والصعق بالكهرباء، وما هو معنوي كالكلام الجارح والسب والشتم والسخرية، ذكرتها كلها الروائية في روايتها، فقد كان هدفها اطلاعنا عليها.

.العادات:

تزخر الجزائر بجملة من العادات شأنها شأن أي دولة عربية مسلمة، التي ترتبط بذلك ارتباطا وثيقا بالفرد كونه العنصر الأساسي الذي يكشف لنا نمط عيش المجتمع الذي ينتمي إليه، وباعتبار العادات جزء لا يتجزأ من حياته فإنها لا تخلو كل منطقة منها. فلكل منطقة عاداتها الخاصة بها، وتعرف العادة على أنها: "سلوك اجتماعي متكرر ويمكن أن تكون العادة فردية، أو هي سلوك اجتماعي جبري ملزم تكون انطلاقا من قيم دينية وعرفية تجعل الأفراد تبعا كعادات الزواج، يجسدها الأفراد في مختلف طبقات المجتمع ومستوياته وأنماطه الحضري والريفي"[4]، إذن العادات أسلوب عيش إما أن يكون اجتماعي ملزم

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 158– 159.

[2]– المصدر نفسه، ص 160.

[3]– المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[4]– لزهير مساعدية: في مفهوم الثقافة وبعض مكوناته، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي الأدبي في الجنوب الشرقي في الجزائر، المركز الجامعي، ميلة، ع 9، الجزائر، جوان 2017، ص36.

بمعنى أن على الفرد أن يتبعها وفق لما أتى به الدين، أو تبعا لما تمتع به المجتمعات الحضارية والريفية على حد سواء والموروثات عبر الأجيال .

كشفت لنا **سامية بن دريس** عبر روايتها **رائحة الذئب** جزءا من الهوية العربيّة من خلال عرضها لبعض العادات نذكر منها: وصف إحدى الطقوس التي يمارسها أهل "كاف الحمام"، ويظهر في قولها: "كان الشعير قد طاب في موسمه تماما مع بداية الصيف، وعليه الانتظار حتى نهاية الحصاد، وجمع الحبوب وخزنها، وستخرج أمه المطحنة الحجرية وتديرها وهي تغني: الغرارة تمشي بلا كرعين بلا شيء"[1].

عاد الشاب محمد إلى عمله بعد خروجه من السجن، فتقول الكاتبة في الرواية: "وسيعود إلى الكوشة ليعمل، إن سواعده قوية وهذا يفي بالغرض، سيمنحه خاله مالك كوشة صغيرة يصنع فيها القرميد المحلي ومحمد هو من يتولى أمرها، يرفس برجليه الطين ويشكل القرميد ويطهوه في الفرن، إنه يرسل الشبان والعجائز للاحتطاب هي نفسها شاركت في عملية الاحتطاب، كل خريف يقوم الرجال بفتل حبال الديس والاتجاه نحو الجبل للاحتطاب"[2].

عادة أخرى يتميز بها الشعب الجزائري وهي التلفظ بالأمثال الشعبية، في قول الكاتبة عل لسان الذهبية: "جيل صحيح وجه الرومي، بايع دينو"[3]، كما قال الأسلاف: "مصيبة تمشي ليك وواحدة تمشي ليها"[4]، وتقول أيضا: "راحت الدنيا: زهو الدنيا شقاها، الله الحد جيل مجلجل قسام الكسرة بالمنجل يأكل بلرطال، ويشرب بالسطال ويقول مشبعتش، يا رب استرنا حتى يسترنا التراب"[5]، "هذا بهذا وهذا بربي"[6]. قال ناس زمان: "يكذب اللوز وما يكذبش المشماش، يكذب الشيب وما يكذبشالتكماش"[7]. ويقال أيضا: "اللي يخاف من الطيحة ميركبش"[8]. وفي مثل آخر: "الراقد ما عطاتومو الكسرة"[1].

---

[1]–سامية بن دريس: رائحة الذئب،ص114، 115.

[2]– المصدر نفسه، ص115–116.

[3]– المصدر نفسه،ص 83.

[4]– المصدر نفسه،ص 85.

[5]–المصدر نفسه،ص 113.

[6]–المصدر نفسه،ص 116.

[7]– المصدر نفسه ، ص 163.

[8]– المصدر نفسه ، ص 172.

كما نجد في الرواية إلى جانب الأمثال الأغاني الشعبية: "واش بلادي

بلادي الشوك والقرنينة

نروح لبلادي زينة

واش بلادي

بلادي الذيب والثعلوبة

نروح لبلادي المحبوبة"[2]

تجتمع النساء وفق عادة أخرى من عادات الجزائريين، فنجدهن إلى جانب الرجال يتكفلن بعمل خاص بهن، ويظهر ذلك في قول الروائية: "ففي الربيع حيث يكون روث الحيوانات قد تشرب ماء الشتاء، وقبل أن يبدأ موسم صنع الأواني يكن قد خبزن خبز الروث بشكل أقراص تبسط على الأرض وتطلى على الجدران لتجف"[3].

تواصل قائلة: "وقد كانت خالتي تعمل تويزة لأجل ذلك، صحيح أنها كثيرا ما استدعتني لتخبز روث البقر إنه سهل الصنع، هذا لنفسها لأجل الشتاء القادم، ولأجل ضيوف زوجها، أما روث البغال والنعام فتدعو إليه النساء الفقيرات مقابل صدقة"[4].

ونجد أيضا إشارة لبعض الأطباق التي واكبت العائلات الجزائرية أثناء فترة الاستعمار، "ها هو محمد يعود من الحرب سالما، وها هي أمه تزغرد وهي تحضر العشاء للرجال كسكس القمح باللحم والقديد"[5]. وفي قولها: "بينما ينساب دقيق الشعير الأبيض مثل سلك الفضة فتغربله، ومن ثم تشرع في إعداد الكسكس والتحضير للعرس"[6]، وفي عبارة أخرى تقول الساردة: "بعض الكسكس باللحم، عليها أن تخرج

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 200.

[2]– المصدر نفسه، ص 181.

[3]–المصدر نفسه، ص 116.

[4]–المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[5]–المصدر نفسه ،ص 114.

[6]– المصدر نفسه ، ص 115.

الجفان الطينية التي أعدتها الربيع الماضي للضيوف فالعرس يتهيؤ في أفقها وهي في منتصف الصيف تعد العدة"[1]، وتقول أيضا: "ها هي أمي تحضر عجين الفطير تدهنه بالزيت ترفعه فوق ذراعها نحو طاجين التمرة"[2]، في قول آخر :"شربت عيشة قنوس اللبن وحملت قطعة من كسرة الشعير"[3].

كما وصفت **سامية بن دريس** إحدى الأعياد التي يحتفل بها الشعب الجزائري كل سنة يناير (رأس السنة الأمازيغية)، وطريقة استقبالهم لها، تقول: "كل كاف الحمام صنعت الفطير وذبحت الدجاج، كله مر تحت سكين أبي– احتفالا برأس العام يناير– الريح تبعث بالريش ورائحة الدم تفوح، والقدور تغلي معلنة أنهم سيتعشون عشاء طيبا، الفقراء والأغنياء سيتقاسمون خبزهم ولحمهم، وفاكهتهم هي الحب شرابهم هو المودة"[4].كشفت لنا الكاتبة أيضا عن اللباس التقليدي القشابية والبرنوس، تقول: "انكمشت على نفسي قلنسوة قشابيتي البيضاء"[5]، "ببرنوس أبي الدافئ"[6]، "في تلك الليلة الأخيرة التي رأيت فيها وجه أبي، مد يده يده من تحت قشابية الصوف البنية الغامقة"[7].

ومن أهم الصفات التي يمتاز بها الجزائريين المحبة والوفاء، نوهت إليها الساردة في إحدى صفحات الرواية، حيث تقول:"لهذا جرت العادة أن يُقْسِم الناس بحرمة الخبز والملح الذي تقاسموه أيام الشدائد والمحن ومن خان عهد الخبز والملح فلا عهد له، فالخبز للوفاء والملح للمحبة والماء للوصل"[8].

كانت المرأة تتزين ببعض المواد الطبيعية لتبرز زينتها،لعل من بين أهم ما أوردته الروائية: الزيت والمعطر والطيب، الحنة في الكف والأقدام، "وها هو ينظر إليها من تحت حاجبيه الكثيف نظرة جدية، تفوح برائحة الشيح والزعتر وطراوة المروج"[9]، "مسدت المرأة جسد الصبية ودهنت شعرها بزيت الزيتون

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ،ص 115.
[2]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3]– المصدر نفسه، ص 196.
[4]–المصدر نفسه، ص196–197.
[5]– المصدر نفسه ، ص 145.
[6]– المصدر نفسه، ص 194.
[7]– المصدر نفسه، ص 218.
[8]–المصدر نفسه، ص 197.
[9]–المصدر نفسه، ص 114.

الدافئ"[1]، "ثبته مع كتاب وبعض الحنتيث والكمون، قال لهم أن يجلبوه ويعلقوه على صدر الفتاة الصغيرة"[2].

نجد أيضا من بين الموروثات التي تزخر بها الجزائر عبر مر العصور، صناعة الفخار، في قول الروائية:"بينما آذن أمي إلى الغرفة على عجل وأخذت ترتب الأغراض وتجمع المؤونة في القبوشة، وتضع ملابس أبي في المطمور القديم،وتخبئ ما تبقى لها من قطع الفضة في الأواني الفخارية وتضعها في المطمور ثم ترد عليها الغطاء"[3]، ذكر في هذا القول مجموعة من الأواني المستعملة في وقت الحرب ولعل ولعل من أبرز الأواني المذكورة في الرواية نذكر منها: القبوشة وهي إناء من الحلفاء أقل حجما من القنونة يستعمل لنفس الغرض، أما المطمور يقصد به تلك الحفرة الغير العميقة تتخذ مخزنا للحبوب،كما ذكرت أيضا الساردة الأواني الفخارية فالفخار هو عبارة عن مفهوم يطلق على الأدوات ولأواني التي تصنع من الطين، ويتم استخدام النار في تشكيلها، ويعد تصنيع الفخار من أقدم المهن التقليدية .....كما يعرّف أيضا بأنّه إحدى الصناعات اليدوية المشهورة المستخدمة لإنتاج العديد من المنتجات المصنوعة بشكل كامل من الفخار.

في الختام نقول أن الرواية غنية بمقومات الهوية الجزائرية بما فيها العادات فقد كانت حاضرة في ثنايا الرواية، باعتبار العادات إرث ثقافي ينتقل عبر الأجيال من الأجداد إلى الآباء إلى الأحفاد، بفضلها يمكننا الاطلاع على ثقافات الأمم وتراثها التاريخي الغني، ولعل الجزائر من بين البلدان التي يزخر شعبها بعادات متنوعة ومختلفة من منطقة لأخرى، سواء الأكلات أو الألبسة أو الأعياد...، هذا ما جعل الجزائري يحافظ عليها ويتمسك بها عبر مر العصور، **وسامية بن دريس** كجزائرية جعلت من روايتها مرآة عاكسة لبعض عادات الجزائريين، من خلال حديثها عن قرية كاف الحمام.

. المهمش:

منذ أن خلق الإنسان إلى هذا الكون تصادفه في طريقه مشاكل تعيقه على تحقيق أهدافه وطموحاته ولعل من بين أبرز القضايا التي شاهدها في حياته نجد قضية التهميش، تعتبر هذه الأخيرة إحدى القضايا

[1]–سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 110.

[2]–المصدر نفسه، ص 111.

[3]– المصدر نفسه، ص 210.

الفنية التي طرحتها الساحة الأدبية واكتست مشهدا سرديا داخل الفضاء الروائي نظرا لما تعالجه من إشكاليات اجتماعية وأخلاقية ودينية وفنية....، فالمهمش كما عرفه **هاني نعمة** في قوله:" كل أنواع المنبوذين والمقصيين من قبل جماعة أو من قبل المجتمع بأسره كالسود والفقراء والنساء وغيرهم كثيرا"[1]. فالمهمش كل من يخالف الجماعة في اللون أو الفقر، وحتى المرأة كانت تهمش.

هناك من يعرفه على أنّه: "الفئة أو الجماعة التي تقف خارج العملية الإنتاجية للمجتمع سواء كان ابتعادها لأسباب عرقية أو جغرافية أو اقتصادية "[2]، وبهذا نتوصل إلى أنّ المهمش هو ذلك الشخص المحتقر في كل نواحي الحياة، لا اعتبار له ولا قيمة له في نظر الآخرين، وهذا يعود لأسباب معينة. سواء كان ذلك بسبب لون بشرته أو عرقه أو مكان تموقعه.

ويحيلنا هذا إلى مفهوم آخر إلى أنّه: "في كل عناصر علاقات تحكمها ضوابط نفسية واجتماعية تتأسس على الدونية وعقدة التفوق، الإقصاء والتمييز، الصدارة والتبعية. ويمكن أن تتمدد مثل هذه التصنيفات إلى عناصر لامتناهية إذا احتكمنا إلى هذه المعايير، وعلى سبيل المثال فالهامشية بين المنحرف والمتشرد من الناحية القانونية، وبين المجنون والمدمن من الناحية الصحية، وبين المهاجر من الناحية الثقافية وبين الفقير جدا والعاطل من الناحية الاجتماعية والاقتصادية"[3]، فالمهمش هو كل شخص مقصى لا يتمتع بحقوقه كانسان حُرِما لدافع عن نفسه إذا حلت به مشكلة ما، وهو نفسه الذي له الحق في: الأكل والشرب والملكية والصحة ....، عكس الإنسان المهمش لا حق له في كل المجالات التي سبق وأن ذكرناها .

كما **ترى هويدا صالح** أنّ المهمش يشير إلى: "جماعة بشرية وحركة تقف على يسار المركز وتتمرد عليه في الغرب، فقد ظهرت مجموعات كثيرة تسمى بالمهمشين أو الحَرْكَة"، نستشف من خلال هذا المفهوم الذي أتت به **هويدا صالح** أنّ المهمش يعود إلى فترة زمنية من التاريخ والتي تحيل إلى فئة من الفرق التي

[1]– هاني نعمة حمزة: شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، دراسة وفق الاتساق الثقافية، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1،العراق، 2013،ص18.

[2]–أحلام بن شيخ: الواقعية وصناعة رواية المهمشين في المنظورين الاجتماعي والنقدي، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع 14،–الجزائر، جوان2018،،ص29.

[3]–جمال مجناح : جدل المفاهيم في موضوعة الهامش والمهمشين، قراءة لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، جامعة مسيلة،لجزائر، 2007،ص2.

يطلق عليها اسم "الكاديسا–الكانج" [1]، وهي مجموعة من الأطفال الذين هاجروا إلى الضفة الغربية (أمريكا)، وأصبحوا بذلك أطفال مشردين لا ملجأ لهم.

ويطلق أيضا المهمشين على "أولئك الأفراد والجماعات الذين يعيشون في فضاءات معينة وفي ظل ظروف تاريخية محددة، غير القادرين عن التكيّف مع البيئة الثقافية والاجتماعية لأنهم مقصوون عمدا من معظم النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... أو ما يطلق عليه تحديدا بالأطراف، وبذلك يشكلون كما بشريا مهملا في منطقة ما"[2]. فالمهمش يكون نتيجة عن نظرة المجتمع له وإقصاءه من الجماعة.

من هنا نتوصل إلى أنّ ظاهرة التهميش تمس بشكل خاص الأفراد والجماعات مهما كان نمط عيشها وثقافتها، وهم نفسهم الذين لا يستطيعون التأقلم مع تلك الظروف المعيشية نظرا لحرمانهم من المجالات : اقتصادية، اجتماعية، سياسية .....

واكبت الرواية الجزائرية المعاصرة التغيرات الراهنة وكشفت لنا الوجه الحقيقي للواقع المعيشي بكل صوره من قسوة وآلام وحزن وتشرد وتهميش وكل ما مرّ به المجتمع خلال فترة الاحتلال، فكان للعنصر السردي دورا هاما في استحضار الأحداث والتعبير عن أهم القضايا. ونجد من بين الروايات الجزائرية التي استحضرت قضية التهميش رواية "**رائحة الذئب**" **لسامية بن دريس،** عبرت فيها الروائية عن واقع المرأة المهمشة في فترة الخمسينات، وعليه أحاطت بمختلف الأبعاد التي تبين صورتها وتقول في بعض المقاطع:

في قول ذهبية:"إن رومان وعصابته هم من جردها من علامات الأنوثة، قطفوا زهرة شبابها ولاذوا بالفرار وخلفوها في مواجهة الموت، نظرت إلينا كالسائرة في نومها وقد احتضنت بين ذراعيها دمية من قماش...، أجلسها أخوها على المطرح الصوفي –هذه هي نوارة– منذ روت لها أمي قصتك ازدادت حالتها تدهورا، المسكينة منذ الحادث اللعين...، قلت منذ الحادث اللعين وحالتها تتدهور تعاني من حالة فصام

[1]– هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،2015،ص47.

[2]–سميرة قوندي: مفهوم التهميش الاجتماعي في المجتمع الجزائري، إشكالية نظرية، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، ع 47، –الجزائر، سبتمبر 2016،ص179–180.

الشيزروفرانيا، سببها لها جرحان اعتداء رومان وجنوده ثم موت سالم خطيبها وابن عمتها، لقد ردم في الحفرة هو الآخر"[1].

تقول سارة :"نعم بالكاد اعترفت أمي، ليس من السهل أن تطعن امرأة، مثلها تلك الطعنة، لكن حالة نوارة تدهورت تماما أنظروا إليها، أترين هذه الدمية التي تحملها، إنها تستعين بها في أوقات المرض، أما في الأيام العادية عندما تستعيد بعضا من توازنها فإنها تعود لحالتها الطبيعية، وتصوري أنها تقوم بأشغال البيت كأي امرأة عادية، ولا أحد يكاد يصدق أنها تكلم دمية القماش منذ زمن طويل....، تبدأ حالتها بهبوط حاد ومفاجئ في درجة التعاطي مع الحياة، ويصبح إخراج الكلمات من لسانها مثل اقتلاع ضرس فتزم شفتيها وتنزوي في الظلام دون أن تتمكن من غلق الباب، عادة يبدأ هذا الهبوط مثل درجة الحرارة في شكل صمت رقيق، ثم يبدأ الظلام زحفه المقدس مسجلا الدرجة الصفر، عندها تتأرجح نواحي بين الوعي واللاوعي...، بل قل إنها تكلم الدمية بصوت عال وتضربها وتضمها في الوقت ذاته كأنها تحبها وترفضها، تبكي وتضحك غفي اللحظة ذاتها"[2].

تشير إلى ما يسبب تأزم حالتها أكثر تقول:"وكان أهم ما يثير مرضها مثل النار الأعراس، كانت لديها حساسية مفرطة من المناسبات وستلاحظ أن جسدها يتصلب لو أردنا وضع الحناء في يديها، لقد تحولت إلى نوع من الفطريات مخلوق غريب يخشى الضوء كما يخشى الفرح"[3].

تقول أيضا:"تدخلت أمي بحياء قد تطول حالتها أسبوعا أو أسبوعين، في بعض الأحيان تبقى رهينة لحظتها القاتمة، اللحظة التي جعلتها تختبئ مثل القنفذ داخل أشواك الظلام، متأهبة دائما للانقضاض، كما لو أن ابنتي الهادئة تحولت إلى قطة شرسة أصابها السعار، وفي مثل تلك الأوقات العصيبة يبدو كل من يقف بجوارها أو قبالتها هو عدو بالجوار، هو عدو لأن طيفه لامس كتفها"[4].

ترد عليها ذهبية:"لقد تغير الزمن –أضافت–أما في الداخل حيث يقبع أناها الجوهري حيث يمتد زمانها الحقيقي، فهي مازالت هناك متخفية بين أشجار التين الشوكي بين ركام القنابل والرصاص، ها هي تنتظر

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 231– 232

[2]– المصدر نفسه، ص 232.

[3]–المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[4]–المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

لحظتها الأخيرة، لا شك أنها استعدت، شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، رفعت سبابتها اليمنى إلى الأعلى وبقيت تنتظر اللحظة الحاسمة عندما يلمع بريق بين عينيها ويتحول جسدها إلى رماد، مرّ شريط حياتها القصير كاملا، فكرت بأمها وأبيها وأخيها، هل ماتوا؟، بكت بحرقة: وسالم؟ أ يكون على قيد الحياة؟ فجأة همد كل شيء، توقف القصف وهدأ أزيز الآلات الملعلعة، وعمّ صمت وجل، إنه الموت الذي زحف نحو القرية والتهم كل علامات الحياة فيها"[1].

تواصل الكلام قائلة:"حاولت إسكات صوت الإبادة الطاغي على كل الأصوات، قلت إن نوارة عاشت أبشع أشكال الإكراه، الإكراه بمفهومه المذل للضمير الإنساني، الإكراه بمعناه المخزي، ذاك هو وضعها، الحقيقة وضع الفتاة القاصر...، في تلك الظهيرة الواهنة ماتت أحلامها، أعني النور الذي يتسلل وسط الظلام مخترقا حواجز البؤس والحاجة والخوف...، ظلت نوارة تقلب عينيها في الفراغ دون أن تحس بوجودنا، تتحسس يداها وجه الدمية، بقلق، تضغط جسدها تارة وتضمها تارة أخرى، ...كانت تلك نوارة، أمي، أبشع دليل على الجريمة، فهل بعد هذا يجتاحنا النسيان؟"[2]، نستبين مما قالته ذهبية بخصوص نوارة أنها عاشت أبشع أنواع الظلم والبؤس وهي كانت فتاة صغيرة في مقتبل العمر لكن الزمن لم يرحمها بل وسرق منها كل شيء لحد أن أصيبت بالمرض جعلها لا تعرف بنفسها.

.الهوية:

تعد قضية الهوية من بين القضايا الشائكة التي تناولتها الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة، التي يرتبط مفهومها بالأدب الجزائري تحديدا خلال فترة الاحتلال، فإصراره في طمس المعالم الوطنية خلقت في نفوس الشعب الجزائري التشبث أكثر بهويتهم، فمنذ دخول الاستعمار الفرنسي إلى الأراضي الجزائرية صخر كل ما لديه من إمكانيات من أجل القضاء على كل ما يتعلق بأصالة هذا الشعب من : لغة ودين كلها تجتمع في قاموس الهوية.

في وطأة تلك الممارسات التي مورست في حقهم، أدركت الفئات المثقفة الحاجة الماسة لإبراز هويتهم والوقوف ضد وجه العدو خيلت لهم فكرة نشر كل تلك الأساليب التي استخدمها بل وحتى في مشاركة

[1]–سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 234.

[2]–المصدر نفسه، ص 235– 236.

أفكارهم وثقافتهم وكذلك رسم شخصيتهم بهدف إيصال صوتهم للعالم، محاولين إثبات هويتهم الوطنية التي أصر المستعمر على طمسها، ما مهد الطريق للروائيين الذين اتخذوا من هذا العنصر موضوعا لهم، في سرد المتباين للظواهر الشائعة في تلك الحقبة،فبات الهم الوحيد للمثقف الجزائري هو نقل تلك المأساة التي عايشها الشعب الجزائري بكل عزيمة وقوة وشجاعة، فبمجرد تأليف الروائي لكلماته الأدبية فهو يقوم بنشر الوعي بين الأفراد وإيقاظ فكرهم مطالبين بذلك التحرر والتمسك بمقوماتهم التاريخية.

من الروائيين الجزائريين الذين عبروا عن الأحداث الواقعية وما عاناه الشعب من رفض ضد السلطة الاستعمارية، نجد العديد منهم من كافح ودافع عن الهوية الجزائرية الإسلامية، نذكر منهم: **طاهر وطار** في روايته "**غدا يوم جميل**"، **عرعار محمد** في "**ما لا تذروه الرياح**"، **حميد بن هدوقة** في رواية "**ريح الجنوب**" أما من بين النساء الروائيات نجد: **ياسمينة خضرا...**، فقد أخذ الأدباء تصوير واقع الشعب الجزائري على عاتقهم ومثلوه في أحسن صورة، ما يدل على انتمائهم ووفائهم للوطن، ولعل من بين الروائيات اللواتي ركزن على موضوع الهوية وسايرت أهم الأحداث الواقعية **سامية بن دريس** في روايتها "**رائحة الذئب**"، حيث استطاعت عبر روايتها أن ترسم لنا صورة البطلة سارة وهي تصارع الحياة محاولة إثبات هويتها المسلوبة منها، ومن النصوص الدالة على ذلك قولها: "أهم شيء دربت نفسي عليه خلال سنواتي التي الانتظار هو التقليل من حدة الانفعال، إن الثلاجة اختراع فعال يذكرنا دوما بأهمية التجمد، لهذا سأحمل معي دائما قطعة من الجليد لأواجه كل أولئك الذين جعلوا مني سار،ة بنجامين، المواطنة الفرنسية الحالية، الشابة الآتية نحو المستقبل، دون الأخذ بعين الاعتبار الحقيقة التي ترقد بين أحضان التاريخ"[1].

تقول أيضا: "أ كنت تلك السنوات مجرد كذبة افتراها الآخرون ورسموا اسمها وتاريخها ومنحوها هوية وحياة، كما لو كنت دمية معطلة الإرادة لعبة بيد طفل يتحكم بها عن بعد، في صورة شابة فرنسية..."[2].

يظهر ذلك جليا في النص الروائي حيث تقول سارة: "ثمة أسرار اقتحمت حياتي، لم أعد فقط سارة بنجامين، إنا شيء آخر، شيء غامض كالضباب، أنا بلا هوية، لعلي مسخ، علي أن أستعيد هويتي

[1]–سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 31.

[2]–المصدر نفسه، ص 34.

الحقيقية علي التأكد من حقيقتي ومقاومة الكذبة، الخروج من بحيرة الزيف، أنا وحدي من عليها فعل ذلك، لا أحد سواي، لن يقدر أحد على مساعدتي"[1].

تقول ذهبية: "الطنين الذي رافق مجيء السيدة سارة بنجامين أو حورية بنت نوارة ...، لا شيء غير الطنين وإن قدر لها ونطقت ذات يوم فهي مدينة له وحده، إنه مثل صفارة الإنذار يكز في قلبها، لما سقطت عينها على الفتاة الشابة، أحست وخزا مفاجئا في صدرها...، منذ وفود الغربيين إنها القوانين قوانين الجسد ونظمه، ذلك أن الدم لا يتوانى عن إفشاء أسرار السلالات...، لولا أختها وناسة أكدت موت الطفلة"[2].

تواصل القول: "وهناك بعد سبعة أشهر عادت نوارة وخالتها، وقالت نواسة لأختها في عمق الليل همست في أذنها بعد أن أوصدت الباب.

-إنها فتاة.

-وأين هي الآن؟ ردت ذهبية هامسة بصوت مفجوع.

-لقد ماتت، قالوا لنا لقد ماتت.

-هل ولدت ميتة؟

-لا ولدت حية، وأسميناها حورية، أنا قلت لها، ثم في الغد قالوا لنا إن الفتاة قد ماتت، أجل أخبرتنا امرأة، وكانت نوارة بين الحياة والموت"[3].

وفي قول الساردة: "قالوا إن حورية ماتت، وبعد أربعين سنة تأتي هذه المرأة سارة بنجامين، لتحرك البركة الراكدة بيديها الرفيعتين، تقذف الحجر تلو الحجر لتحرك البركة، تدفعني للكلام، ولكن هل هذا صحيح؟ هل هناك نوارة واحدة في هذا العالم؟، قد تكون امرأة أخرى لكنها أكدت أنها من كاف الحمام،

[1]- سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 48.

[2]- المصدر نفسه، ص131.

[3]-المصدر نفسه، ص132.

سنة 1961 هل تتشابه التواريخ والأسماء إلى هذا الحد؟، لا أدري، لا أدري إنه الطنين يا سارة بنجامين أو ربما يا حورية بنت نوارة، أو ربما لا أحد..."[1].

أجابت سارة قائلة: "لم تتم سارة بنجامين استلقت على السرير، في الغرفة التي خصصت لهما، وانعزلت عن عالم الدار حيث حماتها، بهذا الفعل أثبتت أنها غريبة وأنها لا تقوى بين يوم وليلة على هدم الحاجز القائم بين غرفتها وبين بقية الغرف الأخرى، كل ما عليها الآن هو أن تبتسم، هذه هي اللغة التي تستطيع إتقانها، إنها وسيلتها الوحيدة للتواصل عندما يكون أحمد غائبا"[2].

تواصل الحديث قائلة: "ثبتت عينيها في السقف، فتحت الباب لهواجسها وراحت تفكر في القرية العتيقة المسماة كاف الحمام"[3].

تقول سارة في نفسها: "متى تحل مثل هذه المشكلة لنتصالح مع ذواتنا ونعيش بسلام.

-أفي هذا العالم نعيش بسلام؟ يبتسم أحمد هل صرت ساذجة وبريئة؟ لعل مشاعرك رقت حين صرتي تفكرين بأمك"[4].

في نص آخر تقول سارة: "أفكر بالذهاب في القضية سأطرق جميع الأبواب، سأفتح القبور المنسية، وأدق أبواب المحاكم، على شمس الحق أن تبزغ، في النهاية أنا ابنة وغد وعلي إثبات هذه الحقيقة، لقد ماتت راشيل دون أن تترك آثار قدمي لزوجها، علي العودة إلى بيتها الريفي والنبش في أوراقها، هل سأصير نسخة عنها، أغرس رأسي في حقيبتها، لأرى أين دفن الرجل الذي لم يبق منه غير تمثال الشمع، علي فتح علبة التاريخ، صندوق بنا دورا عامر، آه يا سارة بنجامين وحورية بنت نوارة، من أنت؟ لقاء النار بالنار، قدح الحجر بالحجر والرصاص بالرصاص؟ تناطح الجبال كما تقول الجدة ذهبية، لقاء الدم بالدم، الذاكرة الموجوعة المشحونة مثل قنبلة موقوتة"[5].

---

[1]- سامية بن دريس: رائحة الذئب،ص132.

[2]-المصدر نفسه، ص 134.

[3]- المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[4]-المصدر نفسه، ص 135.

[5]- المصدر نفسه، ص 236.

هذا ما يجعل موضوع الهوية قضية حساسة لا يمكن المساس بها لأهميتها في حياة الفرد وحياة الأمم والشعوب، حيث أضحت مجاهدة ومقاومة من اجلها، وضد كل من يفكر ب الاقتراب منها أو يحاول طمسها وتجريدها من خصوصياتها وتغير مسار الأمة، وهذا ما صورته رواية "**رائحة الذئب**" حيث اتخذت من الهوية موضوعا لها، محاولة بذلك رصد الصراع القائم بين طرفي المستَعْمِر والمستَعمَر، لطمس أصالة الشعب بكل الوسائل المتاحة له.

2. طبيعة الصراع:

تعد مرحلة الصراع من أهم المراحل الذي يمر بها الإنسان في حياته، سواء كان ذلك الصراع داخليا مع نفسه أو خارجيا مع الطرف الأخر إما فردا أو جماعة، وتختلف طبيعته حسب اختلاف مجالاته حيث لكل صراع مجاله الخاص به ليميزه عن باقي الصراعات معبرا بذلك عن الجوانب المظلمة في العقل البشري.فالصراع هو ذلك الجزء الأساسي الذي لا تخلو منه الرواية، ولمعرفة دوره لابد من تفكيك شفراته التي لا تتحقق إلا بدراسة أدبية معمقة.وهناك أنواع من الصراعات:

-الصراع النفسي:

مما لا شك أنّ كل إنسان يمر في حالة من الصراع النفسي، فدائما يخلق فيه نوع من الإحساس والتعارض في أفكاره ورغباته بسبب دوافعه النفسية المتعاكسة داخله، فتدخله بعد ذلك في دوامة من القلق والتوتر والارتباك،نظرا لعدم توفقه من إشباع رغباته في زمن محدد التي تعجزه للوصول إلى هدفه.

مما سبق يتضح لنا أن مفهوم الصراع الذاتي في علم النفس بشكل عام هو ظاهرة اجتماعية تعكس حالة من عدم التوافق بين رغبتين مما يؤدي إلى الانفعال و الاضطرابات في الشخصية وينتج عنه عدم الاستطاعة وإرضاء دافعين معا، وقد يمس ذلك الصراع جانبين الأول جانب داخلي (نفسي) والجانب الثاني يمكن أن يكون خارجي مع الطرف الأخر فما أكثر.

لهذا فيعرف الصراع الذاتي لدى الدراسات النفسية على أنّه: "حالة انفعالية تتسم بالشعور والتردد والحيرة والقلق والتوتر، تحدث للفرد عندما تعرض لهدفين أو دافعين متعارضين، لا يمكن إشباعها أو

تجنبهما في وقت واحد"[1]، فالصراع هو حالة شعورية ناتجة من زيادة الانفعال الفرد حين يتعرض لخيارين متعاكسين. وتذهب نادية عيشور في تعريفها للصراع النفسي أنّه:" يعكس دائما علاقة اصطدامية نتيجة وجود وتناقض بين أطراف هذه العلاقة حيث تحصر مجاله في اللاشعور"[2].انطلاقا من هذا التعريف نستخلص أنّ الصراع النفسي يخلق من تلك العلاقات المتناقضة التي تجمع بين طرفين فما أكثر، وقد تحتل هذه النقطة بقعة مركزية لا شعورية في الإنسان.

كما أشار إليه **أدين الخالدي** في قوله: "الصراع النفسي هو تعرض الفرد لقوى متساوية تدفعه باتجاهات متعددة مما تجعله عاجزا على اختيار اتجاه معين، يترتب عليه الشعور بالضيق، وعدم الارتياح كذلك حالة قلق، وهذا ناتج عن صعوبة اختياره أو اتخاذ القرار بشأن الاتجاه الذي يسلكه"[3].من خلال هذا الطرح نستخلص أنّ الصراع النفسي ينشأ في حالة ما إذا كان الفرد غير قادر على اختيار خطة معينة يتبعها في بناء مشروعه، بسبب تصادمه بهدفين يمتلكان نفس القوى وهو نفسه الذي يلد فيه التشويش والاضطراب ليحس بعد ذلك بعدم الراحة.

ويرى **أغوس سويانطو Suyanto Augus** أنّ:" الصراع النفسي هو الأعمال التي تتعارض مع الضمير أي يكون الصراع النفسي حينما يقع فيه التعارض بين دوافع الباطنية في ضمير الإنسان والاحتياجات التي لابد أن يدفعها الإنسان. ويؤدي ذلك الصراع إلى ظهور تمزق شخصي حتى يشعر الإنسان الصراع في قلبه وتحدث ذلك الصراع مستمر في قلب الإنسان"[4]. إن الإنسان غريزي بطبعه فهو يحلم دائما بأهداف فتدور في قلبه حتى تخلق تناقض في باطنه مما يعيق عليه تحقيقها، فيشعره بالقلق وتمزق شخصي.

[1]– ثائر غاري وآخرون: علم النفس العام، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008، ص 364.

[2]– نادية عيشور: الصراع الاجتماعي بين النظرية والممارسة، دار بهاء الدين، ط1، الجزائر، 2008، ص39.

[3]– أديب الخالدي : المرجع في الصحة النفسية، نظرة جديدة، دار وائل للنشر،د.ط، الأردن، 2009، ص124.

[4] –AgusSujantodkk , **Psikologikepribadain**, (Jakarta : PTBumiAksara, 2006).Hal.**p**12

يعرفه أيضا **مصطفى محمد الصفطي** يقول: "هو حالة من التردد والحيرة تنشأ عن وجود رغبتين متعارضتين، واختيار إحداهما يؤدي إلى عدم تحقيق الرغبة الأخرى"[1]، نلاحظ من خلال هذا التعريف أن الصراع النفسي يكون عند الفرد حين يتردد في الاختيار بين طرفين لكي يصل إلى هدفه.

كما يراه **كمال دسوقي** على أنّه: "تعارض بين دوافع أو رغبات متضادة يحدث توترا انفعاليا كثيرا ما ولا يكون مريحا للنفس كثيرا ويؤدي إلى كبت أحد الدافعين . كما يعني حدوث متزامن لاندفاعين أو دافعين أو أكثر بينهما عداوة متبادلة "[2]. نفهم من هذا القول أنّ الصراع النفسي هو حالة تناقصية بين رغبتين، ثم تتحول تلك الحالة إلى حالة انفعالية زائدة التي تستشعر الإنسان بعد ذلك عدم الارتياح.

عرفه **كونتيConte وآخرون** على أنّه:" انعكاس لوجود قوى متناقضة تعمل معا سواء في المجال النفسي أو المجال الاجتماعي"[3]،ومن زاوية أخرى يراه **مغاريوس Magarusعلى** أنّه "حالة نفسية يشعر فيها الشخص بالتوتر والضيق والكدر عندما يكون مشدودا في وقت واحد بقوتين تعملان في اتجاهين متضادين أو متعارضين أو مختلفين"[4]، فالصراع النفسي يكون بين اتجاهين متضادين في نفس الفرد.

ولعل رواية " **رائحة الذئب**" من الأعمال الأدبية التي طغى عليها هذا النوع من الصراعات نذكر منها :

تبدأ الروائية في الحديث عن حالة البطلة سارة حيث تقول:" كنت لحنا مدوزنا على وشك الانسياب لحنا راح يرتعش بين شفتي، في انتظار لمسة ساحر قادم، لكني اليوم لست واثقة فلم أعد أعرف الكثير عن نفسي، ويبدو أني نسيت ذلك اللحن لولا الأثر الرطب الذي خطه في قلبي، ربما غرقت في نهر حلم طويل بسبب الإجهاد، وعندما استيقظت أمحت الذكرى، لهذا أجد نفسي أتساءل بحمق على حافة السرير بعينين مغمضتين وخصلات مهملة: من أنا؟"[5].

---

[1]– مصطفى محمد الصفطي وآخرون: قراءات في علم النفس، مركز الإسكندرية للكتاب، د.ط، الإسكندرية، د.ت، ص 71.

[2]– كمال دسوقي: خبرة علوم النفس، دار الدولية للنشر والتوزيع، مج1، القاهرة، 1988، ص291.

[3]– مجدي محمد الدسوقي: مقياس الصراع النفسي، مكتبة أنجلو المصرية، د. ط، القاهرة، 1999، ص 13.

[4]– محمد عودة محمد وكمال إبراهيم: الصفحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، دار القلم، ط 3، الكويت، 1994، ص132.

[5]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 07.

تقول أيضا:"إنّي لا أبحث عن مجد، وإنما أبحث عن طريق، هناك فرق بين البحث عن المجد وبين البحث عن طريق، البحث عن المجد معناه أنك سويت جميع المسائل العالقة مع نفسك، واتفقتما أخيرا على المضي نحو قمة ما، أنتما معا، أما البحث عن طريق، فمعناه أنكما متخاصمان الخصام بينك وبين نفسك هو أخطر الخصومات، والسرب عندما يحلق لا يلتفت نحو الطير الجريح "[1].

وتماشيا مع ما تم ذكره تقول: "لطالما راودتني الهواجس السوداء، وطالما تسكعت في خيالي عابثة بذاكرتي، ومزقتني بين أكف الريح، طوال الليالي المتلاحقة"[2].

وفي عبارة أخرى قائلة: "يا سؤال الأنا لقد خلخلت داخل روحي، كأن مفكا فصل أعضائي والآن وعلى عجل يطلب مني تركيبها، أحس ارتخاء أذرعي، كما لو أن مفاصلي تتحلل وتنفصل، كأني أراها بجانبي مثل آلات دراجة قديمة ومفككة"[3]. وتقول أيضا: "لست من يرفض التصالح، الألم من يأبى التواطؤ مع النسيان، عدو والذاكرة الطازجة، يصرخ الصوت الممزق بداخلي"[4].

وتقول أيضا:" عائمة مثل الفلين يا سارة بنجامين، أكنت تتوقعين أنّ النهر سيجرفك نحو هذه الصخرة حيث علق شعرك؟ أكنت تعتقدين أنّ الريح ستأخذ قاربك إلى بحر الشك؟"[5].

يلاحظ من خلال القراءة السابقة للرواية أنّ الصراع النفسي هي حالة طبيعية يستشعر بها الإنسان، فكونه يعيش في حياة مليئة بالتجارب والمفاجئات التي تصادفه في أشكال عديدة من الصراعات،والتي تختلف درجتها من الشعورية إلى اللاشعورية وقد تؤدي به لأمراض خاصة النفسية، ولعل شدّة مواجهته لصراعات نفسية تؤدي به إلى نفاذ طاقته. وقد يتلقى هذا الصراع من وسط محسوس، فالإنسان ما دامه كائن فضولي يسعى دائما لإشباع رغباته الذاتية التي يذكرها من الوسط الخارجي فمن الطبيعي، تصادفه عراقيل وعوائق تعرقله لبلوغ غايته الهادفة، ما يجعله يعيش تحت سقف التوتر والقلق والضغط والإحباط فتتحول كل هذه المصطلحات لتشكل كومة من الصراعات الداخلية.

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 8.

[2]– المصدر نفسه ، ص 14.

[3]– المصدر نفسه، ص 8.

[4]–المصدر نفسه، ص 11.

[5]–المصدر نفسه، ص 13.

.الصراع الاجتماعي:

يعد الصراع الاجتماعي من بين الظواهر الاجتماعية تسببه الطاقة السلبية والتواتر الذي ينبعث من البيئة الاجتماعية،الناتج من عدم التوافق أو عدم الانسجام بين طرفين أو يمكن أن يكون سببه يعود إلى عدم التفاهم على نظام معين، وقد يشمل فردين أو مجموعتين أو دولتين أو أكثر في العمل الأدبي. عادة ما تركز الرواية على الصراع الاجتماعي فهي تعمل على نقل المشاكل التي تحدث بين الشخصيات التي تتشكل على شكل نسيج يربطهم فيما بينهم ليشكلوا قصة جميلة تحت المسمى بالمتن الروائي.

لهذا يشير إليه **حسين عبد الحميد رشوان** على أنّه: "عملية اجتماعية يحدث عن قصد يعتمد بين فردين أو أكثر أو بين الجماعات أو بين الطبقات في المجتمع الواحد متمثلا في الصراع بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال أو بين الفلاحين والإقطاعيين أو بين الأحزاب السياسية أو بين المجتمعات بعضها البعض"[1].نفهم من هنا أن الصراع هو تلك الطريقة والأسلوب اللذان نتعامل بهما مع الآخر ويكونان بشكل مقصود، يخصان الأفراد والمجتمعات والطبقات الاجتماعية.

ورد في معجم العلوم الاجتماعية على أنّه: "الموقف الذي يكتسب فيه موقف ما قيمتين متناقضتين أحدهما إيجابية والأخرى سلبية"[2]، بمعنى أن الصراع الاجتماعي موقف يحتمل جانب إيجابي وآخر سلبي.

يعرف أيضا أنّه: "أحد أنماط التفاعل الاجتماعي الذي ينشأ عن تعارض المصالح، وهو الموقف التنافسي، حيث يعرف كل من المنافسين غريمه، ويدرك أنه لا سبيل إلى التوفيق بين مصلحته وبين مصلحة الغير، فتنقلب بينهما إلى صراع"[3]، فالفرد يلجأ إلى الصراع أثناء تعارضه واختلافه مع الآخر، ما يولد التناقض بين رغبتيهما.

[1] – حسين عبد الحميد رشوان : الأسرة والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة،د.ط،القاهرة، 2003، ص146.

[2] – نادية عيشور: الصراع الاجتماعي بين النظرية والممارسة، دار بهاءالدين، ط1، الجزائر، 2003، ص27.

[3] – أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان للنشر والتوزيع، د.ط، لبنان، 1977، ص79.

فهو عند **جبلن** :"عملية اجتماعية يسعى الأفراد أو الفئات الاجتماعية من خلالها تحقيق غاياتهم باستخدام التحدي العدائي المباشر أو العنف أو التهديد به"[1].بمعنى أنّ الصراع الاجتماعي هو ذلك الأسلوب الذي يستخدمه الفرد أو الجماعة، ويتمثل في العنف، الضرب والتهديد، وصولا بذلك إلى تحقيق هدفه أو غايته.

يقصد به أيضا :"نزاع مباشر ومقصود بين أفراد وجماعات من أجل هدف واحد، وتعتبر هزيمة الخصم شرطا ضروريا، للتوصل إلى الهدف ويظهر في عملية الصراع الأشخاص بشكل واضح من ظهور الهدف المباشر ونظرا لتطور المشاعر العدوانية القوية، فإنّ تحقيق الهدف في بعض الأوقات قد يعتبر شيئا ثانويا بجانب هزيمة الطرف الآخر"[2].من زاوية أخرى يعرف أنّه: "تلك الحالة التي يكون فيها هدف الجماعات المصارعة التخفيف من حدّة الضرر أو الإصابة أو التخلص من منافسيهم "[3].

في مفهوم آخر حيث يقال على أنّه :" وضع تكون فيه مجموعة معينة من الأفراد سواء قبيلة أو مجموعة عرقية أو لغوية أو أدبية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، أو أي شيء أخر تنخرط في تعارض واع مع مجموعة أو مجموعات أخرى معينة، لأنّ كل هذه المجموعات تسعى لتحقيق أهداف متناقضة فعلا أو تبدو أنّها كذلك"[4]، إذن الصراع يتشكل في جو مليء بالمتعارضات تمس خاصة المصالح، وتسبق مرحلة الصراع مرحلة التنافس. أمّا إذا تأملنا في القرآن الكريم فنجد أنّ هذا النوع من الصراعات قد ذكر في سورة القصص من خلال صراع موسى عليه السلام مع فرعون.

من بين الذين سالت أقلامهم حول هذا الموضوع نجد: الكاتبة الجزائرية **سامية بن دريس** التي اتخذت من الصراع الاجتماعي موضوعا لها، في رواية" **رائحة الذئب**"، الذي سنعرضه في الأسطر التالية :

---

[1]– محدب رزيقة : الصراع النفسي الاجتماعي للمراهق المتمدرس وعلاقته بظهور القلق (حالة–سمة)، دراسة ميدانية ولاية تيزي وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة مولود معمري، 2011، ص30.

[2]– محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، د.ط، القاهرة، 2006، ص73.

[3]– محمد عبد الكريم الحوراني: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار المجدلاوي للنشر، د.ط، الأردن، 2008، ص 104.

[4]– داورتي جيمس، بالستغراف روبرت: النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، تر: وليد عبد الحي، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، الكويت، 1985، ص 140.

" لمحمد ورفقائه لعيشة ونوارة وفتيحة ولمصطفى وقويدر، كلهم ذهبوا هكذا لمجرد نزوة، الطائرة الصفراء اللعينة، رمدتهم جميعا في الحفرة، رمدتهم فحسب، هكذا كما لو كان فائدتها يمارس هواية، نزوة قمار لعبت برأسه، كأس لعبت بمخيلته"[1].

" أنظروا إليها هنا ردم نصف أهل القرية، أترى تلك الآلة الحدباء الصدئة تلك هي آلة الموت الرهيبة التي نفستهم أحياء تحت التراب، لم ينج غير لخضر ولد الدراجي، كانت تلك معجزة أخرجها الله على الأرض"[2].

" اكتست القوات الفرنسية كامل القرى في الجوار، حمارة وعرب الشرطة وبعد مقر الشنابط، وكان دخان الحقد يصل إلينا مثل لحم بشري نتن"[3].

" هؤلاء العرب القذرون كالقطط لهم سبعة أرواح، اللعنة بصق الجندي على وجهه، مثلما ببصق على التراب، ثم شرع في أداء واجب الولاء للأمة الفرنسية التي حملته أعباء تعذيب هؤلاء الجزائريين واستئصال أرواحم.... إنّه حي قلت لكم – صاح الجندي– عنيد كالصخرة، تبا لك، الزجاجة يا فرنسوا، الزجاجة هي التي تعرف أسرار العناد...قل أيّها القملة اللعينة التي تقتات من دمنا وتأكل جلودنا، دون أن نجد الشجاعة لتعترف بالنعمة. حسنا، أنت لا تعرف، القارورة هي التي ستجعلك تعرف "[4].

"الزجاجة يا فرنسوا، كان ذلك صوت رومان اللعين باردا وعاريا من المشاعر، لا يحن ولا يرحم، صب عليه الماء البارد عليه فرنسوا حتى يتلذذ بدغدغة الزجاجة"[5].

" فرنسوا وهو يحمل الزجاجة اللعينة، جرب كثيرا من أنواع العذاب، كما جرب الرجال عند كل عملية تمشيط، الضرب والشتم والركل ويعرف تماما مذاق الجلد بالسوط الذي بدا له بمثابة الترتيب على الأكتاف التجويع والعطش، صب الماء والصابون في فمه بواسطة الشاش التعليق في شجرة الكافور، لكن الزجاجة

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 140.

[2]– المصدر نفسه، ص 140.

[3]– المصدر نفسه، ص 146.

[4]–المصدر نفسه، ص 153.

[5]– المصدر نفسه ،ص154.

هي أشبه بعذاب جهنّم"[1]، يعد فرنسوا أحد الجنود الفرنسيين الذي كان له الحظ الوافر في تلك الأمور التعذيبية التي تأمر عليه من قبل جوزيف ولعل نذكر من بين العمليات التي كان يقوم بها في سكان قرية كاف الحمام : الضرب، السوط، التجويع وغيرها....

" التمعت مرة أخرى كالوعيد في يد الجندي الذي صاح في وجهه:

من أحرق مزرعة فالي؟

.....

لا تعرف أيها اللعين، أنت لا تعرف إذن أيها القدر.

إليك الزجاجة لتعرف، إليك الألم الحقيقي لتعرف، أنت لا

تعرف إذن، هل ستعرف؟"[2].

" تمزق أحشاءه في لامبالاة، فلم يعد يحس بوجوده

لقد انتهى وتلاشى، غام مثل سماء الضيق ثم وقع في الحفرة"[3].

خلاصة القول الصراع الاجتماعي ظاهرة تنشأ بسبب التضاد والتناقض والتنافس الناتج بين المجتمعات.وقد يكون إيجابيا ضروريا من أجل تحقيق غاية أو هدف أو تغيير، كما قد يكون سلبيا على الفرد يلحق الضرر به.

. الصراع الثقافي :

هو نوع من أنواع الصراعات التي تحدث في المجتمعات، وقد تمس الأفكار أو العادات والتقاليد أو الأخلاق. وقد أشار عنها مالك بن نبي في مفهومه: "الثقافة لا تضم في مفهومها الأفكار فحسب، وإنما تضم أشياء أعم من ذلك كثيرا، أسلوب الحياة في مجتمع معين من

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ،ص 154.

[2]– المصدر نفسه ، ص 155.

[3]–المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

ناحية، كما تخص السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع من ناحية أخرى"[1]،فالثقافة حسب رأي مالك بن نبي لا تقتصر على الأفكار بل تشمل كل ما يتعلق بالفرد من نمط العيش وأسلوبه الاجتماعي وتصرفاته اتجاه المجتمع.

كما يقال أيضا: "الثقافة هي ذلك التراث الحضاري والمنهجية التفكير وأسلوب العيش والمعاملة أي تلك التي تنطق من ذاتية وشخصية الإنسان بما هو عليه من صفات كالخير والعدل وتلك الطاقة الكامنة التي تستخدم في مجالات الحياة، والتي تميز مجتمعا عن مجتمع آخر"[2]، نفهم من هذا الطرح أن الثقافة هو ذلك الشيء الموروث عبر الأجيال، والتي تتمثل في الأفكار وأسلوب العيش والمعاملة كلها تجتمع تحت سقف واحد، أو بمعنى آخر كل ما ينبعث من الذات الإنسانية، فالصفات الحسنة مثلا وكل تلك الطاقة الإيجابية التي يتحلى بها الإنسان، وهو يقوم بأعماله لتميزه عن باقي المجتمعات.

عليه فإنّ الصراع الثقافي كما عرفه العالم **ويليام كورنيليوم**WilliamCornbellum :" عبارة عن قضية مستقلة بحد ذاتها، إذا ينتج هذا الصراع عندما تتكافئ بعض المعايير المتعاكسة مع كافة الفرص الثقافية لعمليات الانحراف في نطاق الثقافات الفرعية "، ويقول أيضا: " أنأمر اختلاف ثقافات الشعوب وهوياتهم الاجتماعية تكون المصدر الأساسي للصراع في العالم "[3]، إذن نفهم من خلال هاذين السياقين أن السبب الرئيسي وراء حدوث الصراع الثقافي بين المجتمعات، نتيجته اختلاف في العادات والتقاليد التي تثبت هويتهم وانتمائهم.

[1]– ملك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهدين، دار الفكر، ط4، دمشق، 2000، ص 13.

[2]– زغمو محمد: أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، كلية العلوم القانونية والإدارية، جامعة الشلف، 2014، ص 94.

[3]– ينظر: عرين البيروني: مفهوم الصراع الثقافي، نشر:2020/10/12، https://e3arabi.com، أطلع عليه 2024/07/19، الساعة 21:11.

ويشير العالم **جوناثان إتش تيرن JonathanH.Tourner في**قوله :"إلى أن سبب نشأة الصراع الثقافي هو مجموعة الاختلافات في التقاليد الثقافية والعقائدية، تلك الاختلافات التي تؤدي إلى حدوث خلافات بين البشر"[1]،أي أن الصراع الثقافي سببه هو التعارض في العادات والتقاليد، حيث لكل أمة عقائدها الخاصة بها فاختلافها يولد بذلك صراعا بين البشر.

المتمعن في حيثيات الأحداث من خلال الرواية يلاحظ تصارع ثقافتين، الثقافة الغربية والثقافة العربية، وهي ظاهرة شهدها الشعب الجزائري خاصة إبان الثورة، وهذا ما يظهر لنا من خلال الشخصية الروائية **سارة بنجامين**، فانطلاقا مما قراناه نفهم أن سارة بعد ذهابها إلى الغربة أصبحت تعيش في جو ثقافي جعلها تنخرط فيه، ويظهر ذلك في الرواية من خلال المقاطع التالية:

-وهذا ما أكدته سارة في قولها: "تقاسمت مع الأصدقاء كل شيء، الرغيف والشراب والدخان والفراش، هذه هي نزوات الشاب الطبيعي، ولكن بعد سنوات سأعرف أن بعض الشباب في النصف الجنوبي للأرض لم يمضوا شبابهم على هذه الشاكلة، ولم يعرفوا العالم الخفي للمرأة إلا ليلة زفافهم، إنه أمر غريب حقا"[2]، مقابل هذا نجد عبارة أخرى تقول فيها: "الحقيقة أنني صدمت في البداية من امتناعهم عن تقديم المشروبات الروحية، ثم احترمت القرار حين علمت أنه يرتبط بالديانة، عجيب هناك دين يحتم على الإنسان أن يبق صاحيا لأن العقل هو أعظم الهبات الإلهية، شيء آخر صدمني اللحم الحلال، بمعنى أن الحيوان وهو عادة خروف أو بقرة أو دجاجة أو ماشية، يجب أن يكون مذبوحا على الطريقة الإسلامية، وهكذا فهمت بعد فوات الأوان أن المطعم مخصص للمسلمين، ومن زواياه تفوح رائحة المسك

[1]- ينظر: عرين البيروني: مفهوم الصراع الثقافي.

[2]- سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 45، 46.

والعنبر"[1]، وتقول في موضع آخر: "وعادة ما كنت أعود إليها ثملة"[2]، وتقول: "درست الأدب الفرنسي سنة واحدة وانتهى كل شيء"[3]، وفيما يناقض ذلك تقول: "الشابان مخطئان، أمهما ليست من هنا، إنها غريبة، وهي لا تعرف حتى العربية فكيف تستطيع حفظ أسماء القرى"[4].

وتقول ذهبية: "أنظروا إلى عديم الحياء، أنظروا إلى الديوث يدعونا للتحديق في وجه زوجته جيل صحيح، وجه الرومي بايع دينه، تفوه، وهي أيضا تدعونا لنبحث في وجهها عن أمها الوقاحة، عيش تشوف، آخر زمان، أين أنت يا المرحومة، التي لم ير وجهك أحد من الغرباء"[5]. وفي نفس الصدد تقول: "هؤلاء لا يهمهم إن جاء الإنسان بالحلال أم الحرام، إنهم يخلطون الأمور، ما يهمهم هو تسجيل الهدف، لا يهمها إن كانت ابنة حرام"[6].

مما سبق نجد أن الصراع الثقافي يعد من بين الموروثات الاجتماعية لمختلف التجارب الإنسانية والمنتجات البشرية، التي تشمل كل مجالات حياة الفرد وسلوكياته، خاصة التي تمس الطبقة البسيطة والغنية المعقدة معا، فتعتبر قضية عامة وخاصة تشمل كل الزوايا.وباعتبارها شيء موروث عبر الأجيال فإنها تنتقل بين الأفراد حيث يطالبون بنقل تراثهم وحضاراتهم وكذلك أسلوبهم وأفكارهم وما تعلموه من الماضي، فالصراع الثقافي تنتج عن تناقض الأفكار.

3.الهوية والسرد:

يعد موضوع الهوية من أكثر الموضوعات شيوعا وحضورا في ميدان السرد الروائي، وهي ترتبط بالسرد ارتباطا وثيقا، فكل الأمة تحتاج إلى السرد لتأكيد وجودها وقدرة كل إنسان سرد أحداث وجوده

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 64.

[2]–المصدر نفسه، ص 67.

[3]–المصدر نفسه ، ص 68.

[4]– المصدر نفسه، ص 86.

[5]– المصدر نفسه ، ص 83.

[6]– المصدر نفسه ، ص 86.

وأيضا استطاعة الدفاع عن ذاته لمواجهة الآخر، ومنه الهوية والسرد: "هو اقتدار للذات من جهة الاندماج وإعادة تشكيل هويتها باستمرار، حيث يكون السرد تخيليا وذاتيا يعكس التوقع في تاريخه"[1]، قد أشار في هذا القول على أن الهوية لا تعبر عنها النصوص السردية فقط بل تغلغت في تفاصيل الحياة لكي تصل إلى بنية النّص السّردي.

ويقال أيضا: "أنّ الهوية السردية تعمل على تقويض الهوية الواحدة من خلال رؤيتها للعالم، وكأنه خليط من الأعراف والأمم تربطه وشائح معقدة ومتشابكة ولا يشترط أن تكون الهوية السردية واقعية مؤولة أو موهومة، لأنها فعل إبداعي اختلافي تنوعي يحفظ لحركة الذات تموضعها تبدله واستمرار بإعادة تشكيل لما في تخيله"[2]، ومن هذا الطرح يتضح لنا بان الهوية لا تتحقق إلا بالسرد وهي لا تنظر إلى واقعية الحدث السردي بوصفه حدثا تخيليا.

ومن جهة أخرى أنّ الهوية السردية: "تتشكل في فضاءين متباينين ومتكاملين هما اللغة والتأريخ بعمليات جدلية معقدة وأن موقع الهوية السردية هو موقع ثقافي يقوم على الرموز والاستعارات، ولذلك لا يمكن الركون في متابعة الهوية في السرد إلى تحديدات قارة لموقع الهوية ذاتها، لأنّ الهوية السردية هي أثر يتكون من معان ورموز وسياقات ثقافية وتأويلات جارية في التأريخ والمتخيل"[3]، يبين لنا هذا القول على أن السرد يضيف إلى الهوية دلالات كثيرة وواسعة التأويل.

يقول **عبد الله إبراهيم** بأن "الهوية السردية تنتج بفعل التحول الجذري في الهوية الفردية، وذلك حينما تتدرج هذه الأخيرة في سياق السرد، فتنتقل من كونها هوية ذاتية مجردة إلى هوية سردية متفاعلة مع مجموع المكونات السردية الأخرى في النصوص الأدبية وبذلك تصبح الذات موضوعا للسرد"[4]، على ضوء ضوء هذا القول نستنتج أن السرد يلعب دورا مهما في تحقيق الهوية الشخصية للفرد، ذلك من خلال السرديات والحكايات المروية.

---

[1]– محمد فليح الجبوري: الهوية السردية المفهوم والتجلي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المثنى السحاوة، مجلد 18، ع 1، العراق، 2021، ص 271.

[2]– محمد فليح الجبوري: الهوية السردية المفهوم والتجلي ، ص 271.

[3]– المرجع نفسه ، ص 272 .

[4]– عبد الله إبراهيم: السرد والاعتراف والهوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، 2011، ص 45.

نموذج من رواية "رائحة الذئب" لسامية بن دريس:

في بداية قراءة حكاية الرواية بعنوان "سارة بنجامين"، تبدأ الحكاية بجملة مرقمة مكتوبة بخط غامق: 1- الاثنين الساعة السابعة مساء بدون ذكر التاريخ، كانت ذات الساردة تصور الصراع النفسي الذي يتعايش بداخلها بصيغة المتكلم المفرد، تقول: "فلم أعد أعرف الكثير عن نفسي"[1]، أي أن البطلة سارة لم تتعرف على نفسها وكأنّها إنسانة ناقصة تعيش في دوامة فقدان ذاتها وحقيقتها، وبدأت تتساءل: "إنّها الخامسة والنصف مساء، أفرك يدي وألقي نظرة على الجدار، لا ظلال لي على الجدار، الجدار خاو من الذكريات ومن الألحان ومن الكلمات ومن الصور"[2]، كأنها في غرفة مظلمة جدرانها صامتة خالية من الذكريات، الظلال التي كانت ترقص عليه غادرت.

ثم تقول: "لعل بعض الماء البارد، سيحث ذلك اللحن المدوزن للعودة ثانية، لعل بعض القهوة المرة ستمحو آثار الضباب عن عيني ..."[3]، الشخصية هنا لم تيأس إنها تعتقد أن الماء البارد والقهوة المرة قد يمحو ضباب عقلها، وكان هذا سوى أمل عدي م الجدوى، كانت الساردة تبحث عن الطريق الذي من شأنه أن يساعدها على التصالح مع نفسها وإعادة بناء لغز هويتها، تقول الذات في نفسها: "إذن فكيف نحل هذه المسألة؟!، ألا تكفي إنسانية الإنسان لتدمنه بهويته الخاصة؟ بدلا من الاسم واللقب ولون العينين وطول القامة والعلامات الخصوصية؟، هذا محض خيال يا سارة، خيال جميل يكتب في الروايات، تقول سارة التي ترتدي ملابسها على عجل وتتهيأ للخروج، وتضيف محذرة: اسمعي يا سارة بين الضفتين: ضفة الخيال وضفة الواقع هوة سحيقة، وعليك أن تبقي رجليك هنا لا هناك، أليس من الممكن أن أعدل بينهما؟، تقول سارة الأخرى: فأضع رجل هنا وأخرى هناك؟"[4]، قد كانت هنا تبحث عن هوية واحدة وهي الهوية الإنسانية، لكن ذلك موجود فقط في الروايات وفي علم الخيال، وأن سارة الممزقة تحضر سارة الأخرى التي تريد أن تعيش في الواقع.

---

[1]- سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 7.

[2]- المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المصدر نفسه ، ص 9.

تدخل الساردة بصوت ذاتي تقول: "عائمة مثل الفلين يا سارة بنجامين، أكنت تتوقعين أنّ النهر سيجرفك نحو هذه الصخرة حيث علق شعرك، أكنت تعتقدين أن الريح ستأخذ قاربك إلى بحر الشّك؟"[1]، قد تبينت هنا أنّها تعيش في دوامة كبيرة يتخللها الشك في حياتها، هل هذه هي حقيقتها؟.

ثم يبدأ قسم جديد بنفس الطريقة التي بدأ بها الأول: --الخميس الواحدة صباحا (دون ذكر التاريخ) تروي سارة على أنها راودتها هواجس سوداء تعكس خيالها وبدأ الشّك يزرع داخلها بأن حياتها مزيفة وكلما اقتربت لرفع غطاء صندوق الحقيقة تتراجع للوراء لأنّ أمها راشيل كانت تخفي عنها الحقيقة جيدا، "راشيل كانت مثل حارس معبد دائما متيقظة"[2]، رغم ذلك تحاول سارة معرفة الحقيقة.

وفي يوم الأحد التاسعة مساء (دون ذكر التاريخ) تتصور الذات الساردة نفسها بوصف العلاقة التي توجد بينها وبين أمها راشيل بينجامين وتقول: "إن المسافة الشاسعة الممتدة بيننا مثل الصحراء"[3]، شبهت علاقتهما بالصحراء لأنها أرض قاحلة وشاسعة، وأنها لم تتلفظ أبدا بكلمات هادئة دون سب وشتم، دون أن تضطر لاستعمال عبارات من قبيل اللعنة! وتبا! وسئمت! إنه قاموسها الجاف اليائس"[4].

ثم تصرح سارة بأن لا أحد يعرفها سواها "ذلك أن راشيل ليس لديها معارف أو أصدقاء أو أقارب تبدو امرأة مكتفية بذاتها"[5]، لا تستقبل أي أحد في بيتها تعيش منعزلة عن العالم، وظلت سارة تساءل نفسها، "أقلت أن راشيل كانت تحبني؟ لاشك في ذلك لكن ذلك الحب لم يكن بالطريقة التي أريد كان يبدو نوعا من الحب الغريب أو حب قسري فرضته الظروف"[6]، وتبين هذا أنّ العلاقة الموجودة بينهما مجرد علاقة حب مشوهة لم تمنحها ذلك العطف الأمومي الذي تمنحه كل أم لأبنائها.

ذات يوم تعرضت "راشيل بنجامين" لأزمة قلبية شديدة أدخلتها المستشفى . من خلالها شعرت بتهديد الموت، فخافت أن تموت وتأخذ سرّها معها لذلك قصدت باب المحامية "ليزا بالبون" من أجل كتابة وصيّتها.

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 13.

[2]– المصدر نفسه، ص 15.

[3]– المصدر نفسه ، ص 18.

[4]– المصدر نفسه، ص 20.

[5]– المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

[6]–المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

وفي يوم الاثنين مساء عادت سارة من الخارج، وجدتها متنوعة وبدت أنفاسها واهنة مثل وريقة خريف، حتى اعتقدت أنها ستطغى عند هبة نسيم بالكاد تعرفت إلى وجهها المنتفض الذي بدا في العتمة أكثر شحوبا من أي وقت مضى"[1]، قد بدأ ظهور علامات التعب في وجهها. "وفي صباح يومها الأخير قد تحسنت قليل أمسكتني من يدي وقبلتني قالت إنها بخير"[2]. كانت تتظاهر بأنها بخير ولكن علامات الموت تظهر في وجهها، ثم "قد ابتسمت للحظات وظلت تنظر في وجهي كان بودي أن اصطحبك في رحلة إذا شفيت، سأصطحبك في رحلة إلى الجزائر، نعم سنذهب أنا وأنت، سأذهب بك إلى قسنطينة سنبحث عن بيتي هناك"[3]، بعد ذلك تسلط عليها ملك الموت وأخذ روحها، في تلك اللقطة قد كتبت رسالة قصيرة ووضعتها تحت المخدة، كتبت فيها: "عزيزتي عند وفاتي اتصلي بهذا الرقم"[4]، كان ذلك الرقم للمحامية ليزا بالبون، اتصلت بها سارة وأعطتها موعدا لمقابلتها يوم الاثنين الساعة الواحدة زوالا لاستلام وصيتها، كان في تلك الوصية عقد بيت انتقل لملكية سارة (بيتها الموجود في قسنطينة) ورسالة لمعرفة الحقيقة.

بعد موت راشيل عادت سارة مع زوجها أحمد من فرنسا إلى الجزائر لتنبش التاريخ وتقلب أوراقه للبحث عن والديها الحقيقيين وحقيقة نسبها، إنها رحلة البحث عن الهوية الشخصية،ة"أتململ على مقعد طائرة البوينغ المتوجهة الآن من مطار أورلي إلى الجزائر في الرحلة رقم 1225"[5]، بعد وصولها لسن الأربعين عادت لتنبش عن حقيقتها ومواجهتها ومواجهة كل من جعلها مواطنة فرنسية، ولكن تلك الرحلة التي قامت بها تتخللها مخاوف وشعور بالقلق، وتتساءل بداخلها: هل أجد الحقيقة؟ هل أجد أمي الحقيقية؟

خلال رحلتها تسترجع سارة ذكرياتها التي عاشتها في فرنسا عن أمها راشيل، كيف خبأت الحقيقة عنها وكيف كانت تتجاهل أسئلتها وتحاول عمدا التستر على الجريمة الفظيعة التي قام بها الاحتلال الفرنسي. وكانت تصفها بأنها امرأة غامضة بعد موت زوجها سنة 1960، لم تتزوج مرة ثانية، قالت أن ذلك "خيانة

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص26.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[4]– المصدر نفسه ،ص 27.

[5]– المصدر نفسه ،ص 30

لأسرار تم إفشاؤها على الوسادة"[1]، صنعت تمثال نصفي لزوجها تعيش معه في عزلة عن العالم، بعد موت راشيل تخلت سارة عن المسرح ودورها بينيلوبي وعن أصدقائها.

تقوم أيضا بإعادة ذاكرتها في سرد تعرفها على زوجها أحمد في مارسيليا، شاب أسمر كان طباخا في مطعم "البركة"، تعود أصوله إلى الجزائر، تزوجت به وأنجبت منه طفلين: فاطمة الزهراء وأوراس.

قالت: "في البداية وجدت صعوبة في تأقلم مع اسمي ابنتي ولكن ضرورات التأقلم هدتني لاختصاره إلى فاتيمة"[2].

"قبل منتصف نهار الخامس عشر من ديسمبر 1999 نزل زوجان شابان في قرية "كاف الحمام"، في ذلك التاريخ كان العالم بأسره واقعا تحت تأثير قلق النهاية"[3]، أي وصلت سارة وزوجها أحمد إلى الأرض التي ولدت فيها تحت سماء قسنطينة الرائعة، وتتجه نحو قرية "كاف الحمام"، كان أحمد يلعب دور المترجم يخبر الناس –سكان القرية– بأنهما يبحثان عن نوارة، "اسمي أحمد وهذه حورية زوجتي، جئنا من أجل قضية مهمة جدا، قضية مصيرية، نتمنى أن تمدوا لنا يد العون، جئنا من فرنسا خصيصا للبحث عن أمها"[4]. في تلك اللحظة تبادل الجميع النظرات فيما بينهم، عمّ الصمت لا أحد تلفظ بكلمة، لا أحد يريد أن يتذكر ما عاشته تلك القرية من ظلم أثناء الاستعمار، ثم صرح أحمد قائلا: "إنما ما جاءت لتنبش أرض الماضي ولا لتوقظ سلام الموتى وتفتح المقابر القديمة ولا لتزرع أشواكا في الحديقة التي زرعتها أمها بيديها الدافئتين ولا لتنكأ الجرح الذي يكون الزمن بحكمته قد رممه، فقط تريد أن تراها"[5]، كانت فقط تريد تريد رؤية أمه في أمنيتها الأخيرة، لكن هؤلاء السكان لا يهمهم الأمر لا أحد أجابها عن سؤالها، حتى ظهرت العجوز ذهبية فسألتهم عن من يبحثون أجابها أحمد عن أمها نوارة، "لا أعرف معلومات لحد

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 40

[2]– المصدر نفسه،ص 65.

[3]– المصدر نفسه ، ص71.

[4]– المصدر نفسه ،ص 78.

[5]– المصدر نفسه،ص 80.

الساعة"[1]، وأجابته ذهبية "كيف لي أن أعرف؟ والدنيا مليئة بنوارات وليس نوارة واحدة"[2]، رفضت قول الحقيقة.

لكن "منذ أن رأت الجدة ذهبية وجه حورية المكسو بغلابة من الأسى الرقيق، وهي لا تكف عن الشكوى من الطنين المفاجئ الذي ملأ أذنيها"[3]، تذكرت كل ما فعلته فرنسا في الجزائر أثناء الحرب، وتذكرت جوزيف رومان الضابط المتعطش بالدماء، كان جندي يقول بقيادة عمليات التمشيط في "كاف الحمام" هو الذي نظر إلى نوارة كذئب جائع إبقاء نظراته الشهوانية والمتعطشة للدماء.

ذات يوم طاحت ذهبية في الفراش تشكو من صداع حاد ومن ارتفاع الطنين، بعثت ابنها خالد إلى سارة لتروي لها قصتها والحقيقة التي تبحث عنها، لدى وصول سارة بنجامين (حورية)، أجاء خالد امرأة في منتصف العمر، قد احتضنت بين ذراعيها دمية من قماش ثم أجلسها أخوها على مطرح صوفي وقال لسارة هذه هي نوارة.

"منذ الحادثة اللعينة وحالتها تتدهور تعاني من حالة فصام "الشيزوفرينيا"، سببها لها اعتداء رومان وجنوده، ثم موت سالم خطيبها وابن عمها"[4]. تقف حورية صادمة مما رأته، امرأة في منتصف العمر جردها الزمن من كل معان الأنوثة، تتأزم حالتها النفسية وتصاب بحالة الشيزوفونيا، نوارة دليل قاطع على أفظع جريمة ضد الإنسانية، شهدتها قرية "كاف الحمام"...، نوارة عاشت أبشع أنواع الظلم سلبوا منها شرفها.

هكذا تعرفت سارة عن حقيقتها، تعرفت على ذاتها وهويتها المفقودة، على أنها ولدت من بويضة الحرام من ثمرة اغتصاب لأمها، وتعرفت على أبيها الذي هو مجرم حرب، متورط بقضايا إنسانية تتعلق بالشرف والأخلاق، وقالت أنها تريد أن تتبرأ منه أي أنها لا يشرفها أن تتذكر اسمه، ستعيش مقهورة بذكره.

إذن فمفهوم الهوية لم يبق منحصرا فقط في المجال النفسي بل تجاوزت ذلك بتحولها من الفردية إلى السردية، وأن هذه الأخيرة تساهم في تحقيق الهوية الشخصية للفرد عن طريق التعبير عن الأحداث من

[1]–المصدر نفسه،ص 91.

[2]– المصدر نفسه،ص 92.

[3]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ،ص 98.

[4]– المصدر نفسه ،ص 232.

خلال الحكايات المروية.ونلاحظ أنها ليست ثابتة وغير مغلقة حول نفسها، كون يمكن اعتبارها زمنية تنسج نفسها حسب نسيج الحكايات التي تندمج ضمنها على نحو متجدد على الدوام. هذا ما جعل دراسة الهوية في الرواية تشغل حيزا واسعا وهاما باعتبار الرواية إحدى أهم وسائل المعرفة الإنسانية الحديثة وهي تؤرخ للإنسان أينما كان بتفاصيل السرد.

الفصل الثاني: رحلة الكشف عن الهوية و أزمة الصراع في الرواية

المبحث الأول: الصراع و البحث عن الحقيقة

1. صراع المرأة الجزائرية في الخمسينات
2. النبش وراء الحقيقية.

المبحث الثاني: الهوية الثقافية الجزائرية في الرواية

1. إثبات الهوية.
2. الهوية والانتماء.
3. الهوية والشخصية.
4. التمثلات الثقافية في الرواية.

المبحث الأول: الصراع والبحث عن الحقيقة

1.صراع المرأة الجزائرية إبان الثورة:

تعد المرأة الجزائرية المثال الحي الذي يتغنى به الوطن العربي عبر مرّ العصور، فقد ناضلت بكل قواها وشجاعتها وضحت بنفسها، فكانت الكتف الأيمن للرجل، هي الزوجة والأم والجدة والبنت والخالة والعمة... حضرت إبان الثورة مسبلة ومناضلة وممرضة ومجاهدة حاملة السلاح في وجه العدو ... وغيرها من الأدوار التي أدتها، مشاركة في إخراج المستعمر من أرض الوطن، رغم تعرضها في تلك الفترة للظلم والبطش والتعسف والاضطهاد من طرف المحتل، إلا أن هذا لم يوقفها بل جعلها أكثر قوة لا مكان للضعف، لعل من أبرز الأسماء التي يشهد لهن تاريخ الجزائر بعظمتهن وتضحيتهن: لالة فاطمة نسومر التي قادت المقاومة الشعبية في منطقة القبائل بداية الغزو الفرنسي للجزائر، تمكنت من تحقيق العديد من الانتصارات ونشر الرعب في قلوب الأعداء، ما جعل صيتها ينتشر في كل ربوع الوطن، من جانب آخر جعلت من النساء مساعدات لها في الكثير من الأعمال كجمع المؤونة والدعم المعنوي دون إظهار أي علامة من علامات الخوف اتجاه التنكيل الذي انتهجه الاستعمار الفرنسي بل أدت دورها محاولة بذلك إفشال مخططاته بكل الوسائل المتاحة في تلك الفترة.

وعليه تشير **يمينة بشي** إلى :"أن الأوضاع السياسية التي عاشتها الجزائر خلال الفترة الاستعمارية أقرت بشكل كبير على المرأة الجزائرية في شتى المجالات تعرضت للظلم والحرمان فهذا كله انعكس سلبا على حياتها ومستقبلها"[1]، يتبين لنا من هذا القول أن المرأة الجزائرية شهدت كل أنواع الظلم والعنف والحرمان الذي انعكس سلبا على حياتها.

في نفس الصدد قيل أن "رغم كل المعاناة التي عرفتها المرأة الجزائرية من الناحية السياسية ومن محيطها في وسط مجتمعها وعلى اختلاف مستوياتها وطبقتها الاجتماعية سواء كانت في المدينة أو الريف، تمكننا من التغلب على العراقيل والضغوطات التي كانت تواجهها"[2]، نفهم من كل هذا أنه بالرغم

[1]– يمينة بشي: مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال، المركز الوطني للدراسات والأبحاث حول الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2000، ص 21.

[2]– محمد شريف عباس: لمحات من كفاح المرأة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، د. ط، الجزائر، 2007، ص 301.

مما تعرضت له وواجهته المرأة سواء من طرف الاستعمار أو من وسطها الاجتماعي، سواء كانت بنت الريف أو المدينة، إلا أنها تغلبت وصمدت أمام العدو وما عاشته في تلك الفترة بكل عزيمة وقوة.

ويظهر أيضا في موقف آخر في قوله: "على الرغم من الممارسات الكولونيالية الاستعمارية التي مارستها فرنسا لم تثن من عزم المرأة الجزائرية، وقد تأثرت بكل التدابير والخطط التي كانت تواجهها بكل قوة وثبات ويقظة وحنكة سارت ضدها"[1]، يتضح لنا من هنا أنه على الرغم من الممارسات التي كانت تمارس من طرف الاستعمار إلا أن ذلك لم يقف في وجه المرأة بل واجهت بكل قواها الجسدية والعقلية، كما امتازت بالثبات والصمود ضد كل تلك الأساليب التي استخدموها في تلك الفترة.

ويرى **أبو القاسم عبد الله** أنها:" خادمة بيت وحاضنة أطفال وجالبة حطب وماء محرومة من كل النعم في الحياة الدنيا، فلا أفراح ولا مراقص ولا ملتقيات اجتماعية، إن شباب المرأة يذوي بسرعة، ويداهمها الهرم وهي في الأربعينيات من عمرها،حيث يعتبر المجتمع الجزائري مجتمع رجالي ليس فيه دور للنساء"[2]، كشف لنا أن المرأة قديما تقوم بأدوار عدة، حيث كانت تقوم بدور الأم والخادمة وتجلب الحطب...، ومجردة من كل جوانب الحياة من فرح وسعادة.

ويقال أنها :"كانت تعيش ظروفا شاقة ففرضت عليها عادات وأعراف بعيدة كل البعد عن الدين والرقي والحضارة"[3]، يبدو لنا من هذا المفهوم أن المرأة قديما كانت مقيدة من طرف العادات والأعراف التي كانت سائدة في تلك الآونة.

ويضيف **زهير بن علي** في قوله: "كما عملت الكثير من الكتابات الاستعماريات الفرنسية التاريخية والأدبية خاصة على رسم صورة متنوعة عن الحياة الاجتماعية للمرأة الجزائرية داخل كيانها الأسري ومكانتها في النسيج الاجتماعي للمجتمع الجزائري المسلم، فكانت توصف بأنها تعيش حياة بؤس وشقاء"[4]، فقد تركت المرأة بصمتها في الأدب كذلك، من خلال رسم صورتها وأوضاعها الاجتماعية داخل الوسط الأسري، ونظرة المجتمع إليها التي يراها بنظرة قاسية، فصارت تعيش بعد ذلك حياة ظالمة مليئة بالشقاء.

---

[1]– محمد شريف عباس: لمحات من كفاح المرأة الجزائرية ، ص 302.

[2]– أبو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1998، ص 337.

[3]– يحي بوعزيز: المجتمع الجزائري وحركة الإصلاح النسوية العربية، دار الهدى، د ط، الجزائر، 2001، ص 23.

[4]– زهير بن علي: قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1925– 1954، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2015، ص 30.

فنجد رواية "**رائحة الذئب**" **لسامية بن دريس**،صورت المرأة الجزائرية، في كل أشكالها وأدائها لأدوارها خلال الثورة.

- **صورة المرأة القابلة:**

نشهد في الرواية حضورا للمرأة القابلة، ويظهر لنا ذلك في قول الروائية: "كانت المرأة تتلوى ثم تعلو الغشاوة عينيها، فتتشنج أطرافها ويصفر وجهها وتغرق في موجة من العرق البارد، لتسقط مغشيا عليها، فتبلل القابلة مناديلها وتمررها على وجهها فتستفيق، ثم فجأة تصرخ صرختها المدوية، الصرخة الرهيبة التي وقف لها شعر الدواب، وكفت الكلاب فيها عن النباح، لقد صارت امرأة رهيبة فاستنفرت القابلة مساعدتها:

–الفجل الفجل يا بنات الكلاب، البخور البخور، الدفلة، هيا الماء الساخن"[1]، من هنا يتبين لنا

تواصل الساردة قائلة: "مسدت القابلة وجهها ورأسها بيدها اليمنى تالية أدعية الخلاص، مسحت العرق المتصبب، وقامت تصلي الفجر"[2]، يظهر لنا من خلال القول مدى معاناة القابلة وسهرها على مرضاها حتى وقت الفجر، قامت تصلي داعية على إتمام مهمتها الشاقة.

- **صورة المرأة المناضلة:**

جسدت لنا سامية بن دريس صورة المرأة الجزائرية المقاومة والمساهمة لإخراج العدو الفرنسي /المحتل، بحيث تركت بصمتها البارزة خلال المقاومة فكانت فخر للشعب بالرغم من كل المتاعب التي حملتها على أكتافها وكل المسؤوليات في غياب الرجل، لكن لم تمنعها من المشاركة في مواجهة الاحتلال، تقول: "لقد كانت ذهبية قوية وشجاعة وإلا لما لقبوها بالنمرة يوم حملت على ظهرها عمارا ولد عبد الرحمن، وقد أنهكته الجراح وسالت الدماء من رأسه وكامل جسده، رأته النساء بين الحياة والموت"[3]، من خلال هذا الطرح وصفت لنا شخصية ذهبية، الملقبة بالنمرة لشجاعتها وقوتها.

[1]– سامية بن دريس: رواية رائحة الذئب، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر،2015، ص 108.

[2]– المصدر نفسه ، ص 108.

[3]– المصدر نفسه ، ص 123.

في المقابل تصور لنا ذهبية نظرة العدو للمرأة الجزائرية، تقول: "كلهم جائعون وأجساد النساء هي وقود الحرب منذ خلقت الدنيا، ومنذ سالت أول قطرة دم على وجه الأرض"[1]، تعكس هذه العبارة نظرة الاستعمار بخصوص المرأة فيراها مجرد جسد يشبه الأسد الجائع الذي ينتظر فريسته ليهجم عليها.

وفي قول آخر تواصل ذهبية قائلة: "كان علينا تحصين الفتيات، إنه كالخنزير لا يفرق بين فتاة أو امرأة أو عجوز، ويا خوفي سود هذه الشيبة"[2]، توضح لنا الساردة على لسان ذهبية عدم تفريق المحتل بين النساء سواء كن فتيات أو عجائز...، فكانوا يحصنون خاصة الفتيات خوفا عليهن من المستعمر.

تقول الساردة: "لو اقتصر الأمر على القومي عيسى أو على جوزيف رومان لكانت عصرت أسلحته تلك بيديها، نعم إنها الطوارئ، وعلى المرأة أن تدافع عن نفسها، نحن في حرب يا ابنتي، لا تقفي كالقطة، عليك أن تقتلي أو تموتي، أوصيك يا ابنتي، لا تخافي، لأن ذلك الأمر أشد من القتل وأمر من الموت، إنه يشبه جهنم، أوصيك، أنظري في عيني، ها هي عيني حمراء، ووضعت سبابتها تحت عينها وجذبتها، فبرزت عروق حمراء داخل عينيها، كوني حريصة، المرأة مثل البيضة، هل فهمت، نحن في الحرب، والنساء هن الوقود الساخن"[3]، نلمس هنا مدى حقد ذهبية اتجاه القومي ورومان، وهذا ما أظهرته في بداية القول ثم تواصل الحديث عن المرأة فتقول بأن عليها أن تكون مسؤولة وحريصة على الدفاع عن نفسها، وعليها أن تتحلى بكل صفات: الشجاعة والقوة وأن لا تكون خائفة فالحرب تحتاج امرأة قوية تقاتل ولا تقتل، لأن الخوف لا يجدي بشيء بل العكس تصبح فريسة في يد الخونة.

في موقف آخر تقول الساردة: "في أوقات الحرب تصبح المرأة منطقة ألغام، منطقة خطرة، يمكنها الانفجار في أية لحظة"[4]، فالمرأة خلال فترة تصبح النقطة المركزية وخطرا في نفس الوقت، يمكن استهدافها دون إنذار.

ثم تقول الراوية: "وهكذا استقرت تلك السهام الطائشة للجنود الجائعين في منطقتها الحساسة، منطقة المرأة الخطرة الواعدة بالويلات"[5]، نستشف من هذا كله أن المرأة تصبح وتبقى منطقة حساسة...

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 129.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– المصدر نفسه ، ص 129– 130.

[4]– المصدر نفسه ، 130.

[5]– المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

- **صورة المرأة الضحية:**

يقصد بها المرأة التي تعرضت لعنف جسدي من قبل الرجل، الذي يراها مجرد جسد لا غير، ولعل هذا ما حدث لنوارة، فقد راحت ضحية إثر اغتصاب أحد العساكر عليها، فتقول الساردة: "فات الأوان يا ذهبية، تدفقت المياه القذرة نحو رحم ابنتك ماء مهين تدفق في رحم الفتاة التي بالكاد تعرف جسدها الجديد"[1].

ببالغ الأسى استقبلت أمها ذهبية الخبر، فتصفها الساردة قائلة: "علا الطنين حتى خيل إلى ذهبية النمرة أنه بلغ مسامع الجيران، وضعت رأسها بين راحتيها ضاغطة بأصابعها المعروقة، وزحفت ببطء لتوصد الباب عليها، أن تدفن الحقيقة، إنها مثل سدادة، وزحفت ببطء لتوصد الباب"[2]، بينت لنا الساردة حالة ذهبية عند وصول الخبر لمسمعها، فكان رد فعلها محزنا، لم تتصور أن يصير ذلك، فمن الخوف توجهت نحو الباب لتغلقه لعل هذا يفي بغرض إخفاء الحقيقة، فأصبحت ذهبية ترتعش وتتعرق من شدة الخوف سواء من أن يبلغ الخبر أهالي القرية من جهة ومن جهة أخرى الخوف على ابنتها، ولعل علامة الاستسلام ظهرت عليها بوضعها رأسها بين قدميها.

في الأخير ما لنا إلا أن ننوه بأن المرأة الجزائرية كانت أهم حدث وأحسن مثال يتغنى به الوطن الجزائري، فكانت المجاهدة والمقاتلة والفدائية والممرضة الساهرة على راحة المرضى، دفعا بذلك عجلات الثورة نحو النصر، وهذا ما زاد الثوار إصرارا وحماسا من أجل التحرر، على ضوء هذا نجد **أبو طارق خليفي** يلقي كلمة في حق المرأة، فيقول: "كانت المرأة في بلادنا ومازالت قلعة الصمود والمقاومة، عماد الأسرة وخزان الوطنية، حافظت على الانتماء الحضاري للأمة عقيدة وسلوكا، وبلغت ذلك الانتماء للأبناء والأحفاد عن طريق التربية بواسطة الأحاجي والأساطير الملحمية والقصص الشعبية عن بطولات الأجداد للإبقاء على جذوة المقاومة، في أحضانها نشأ وترعرع الأبطال من الشهداء والمجاهدين أبطال الحرية والمدافعون عن الكرامة والهوية"[3].

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ،ص 130.

[2]– المصدر نفسه، ص 130– 131.

[3]– أبو طارق محمد العربي: المرأة الجزائرية مشتلة الثورة وحاضنة الوطنية، الملتقى الوطني حول كفاح المرأة الجزائرية، عنابة، 9 و10 جوان 1996، مطبوعات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 105.

2. النبش وراء الحقيقة:

يمكن تعريف الحقيقة بأنها صفة كل ما يتوافق مع الواقع والتعبير عن الأفعال والأحداث كما حدثت، وهي تطابق كل فكرة مع فعل ثابت أو صادق ينفي كل معنى الشك والغموض من الناحية الاجتماعية يمكننا تعريف الحقيقة أنها المبدأ النبيل الذي يحاكي شخصية الإنسان الصادق الذي يمكننا الوثوق به، ومن جانب آخر أكد أحد الخبراء في مجال اللغة والفلسفة أن تعريف الحقيقة يبقى دائما محل جدل، ومن الصعب إعطاء تعريف واحد له. فالحقيقة حسب أفلاطون في متناول الجميع لأن أرواحنا تأملتها قبل الوصول إلى الواقع المادي، وهكذا فإن اكتشاف الحقيقة هو مسألة تذكر أكثر من كونها مسألة اكتشاف، فأرواحنا تتذكر الأفكار المثالية التي فكرت فيها.

عليه فإن رواية "**رائحة الذئب**" ضمن الأعمال الأدبية المعاصرة التي استحضرت عنصر الحقيقة بقوة، ومن بين المقاطع التي نجد فيها إشارة إلى الحقيقة في قول سارة: "أتململ على مقعد طائرة البوينغ المتوجهة الآن من مطار أوربي إلى الجزائر في الرحلة رقم 1225، وهذه حقيقة كالهواء المتسرب إلى رئتي، أي أنها الحياة مثلما أن يد أحمد تمسك يدي وملمسها ناعم والدفء يتسرب من مساماتها، وهو ما يعني أن الضوء المنبعث من كرة ما في العالم هو حقيقة أيضا"[1]، هنا تكشف سارة بنجامين اتجاهها نحو أرضها التي ترعرعت فيها والتي دفنت فيها حقائقها (الجزائر)، رفقة زوجها الذي يساندها في كل خطوة تخطوها نحو هدفها.

كما تقول أيضا:"الضوء الذي تحدثت عنه السيدة راشيل بنجامين الضوء الذي تتبع طرفه لبلوغ الهدف في نهاية الخيط على الطرف الآخر من البحر الأبيض المتوسط"[2]، تشبه سارة بنجامين الحقيقة بالخيط الذي يحمل بذلك ثقبة ينبعث منها ضوء وهي الحقيقة التي يجب أن تتبعها لتبلغ هدفها الذي باتت تحفر فيها، والتي تجدها وراء البحر الأبيض المتوسط.

وفي نفس السياق تقول:"من الحظ أن أكون في حفل ألعاب نارية، لكن من سيوجه لي بطاقة دعوة، الحفلة للتزين السمائي بتلك الأنوار؟، بعد ساعات يمكن أن تتلألأ إن ابتسم الحظ وتكلمت المرأة المسماة

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 30.

[2]– المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

نوارة، وعندها فقط يمكن للحي الضائع أن يعود، هل ستجد الشجاعة الكافية لتعري كامل الحقيقة"[1]، تشير الروائية إلى أن سارة كانت تعيش سنوات من الضياع، كأنها حفلة تنكرية تنتظر دعوة لحضورها.

كما تقول أيضا:"لهذه الحقيقة عدة وجوه، زوايا متعددة، وعلي الاتصال بمختلف الأطراف والإنصات إليها جميعا، أهم شيء دربت نفسي عليه خلال سنواتي التي سلمتها للانتظار هو التقليل من حدة الانفعال"[2]، كأن الحقيقة تلبس أقنعة وكل يوم بقناع مختلف عن الآخر، لذا لا يمكن رؤية وجهها الحقيقي، لكن الحل الوحيد الذي يمكن ان يكشف عنها وينزع عنها ذلك الستار هو التحرك والاتصال بكل الأطراف دون إحداث أية ردة فعل.

وتصف الحقيقة قائلة:"الحقيقة مثل شبكة العنكبوت تلتف وتلتف، وأنا لا أمسك إلا بطرف واهن في قصة مهلهلة، ويبدو أن لهذه القصة فصولا طويلة وشخصيات معقدة وعقدة شديدة الحبك، لا أدري هل أنا مع قصة بوليسية معقدة الأحداث؟"[3]، شبهت الحقيقة هنا بشبكة العنكبوت الملتفة، وسارة بنجامين متمسكة بخيط تتأمل أن يوصلها إلى ما تفكر فيه رغم صعوبة الطريق وشقائها في عبوره.

وبعد قراءتها للرسالة التي كتبتها راشيل بعد مماتها عبرت قائلة:"يمكنني القول دون ارتياب بأن رسالتها في بداية طريق الشك للبحث عن تاريخي، الحجر الذي حرك ماء البحيرة الراكدة، ميلادي الغامض، الطفلة العارية على رصيف الضفة الأخرى التي علي المرور نحوها"[4]، الرسالة التي تركتها شارل لسارة هي بمثابة الطريق التي يجب عليها أن تشقها، فهي بحيرة تختبئ في أعماقها حقيقتها وتاريخها الغامض.

كما تقول أيضا:"لا توجد حقيقة في العالم، هناك جدران متهاوية، الجدران المتهاوية فحسب..."[5]، تشير سارة إلى أنه لا وجود للحقيقة في العالم، فالعالم عبارة عن متاهات جدرانها متمايلة تكاد تسقط.

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ،ص 30.

[2]– المصدر نفسه، ص 31.

[3]– المصدر ، ص 32.

[4]– المصدر نفسه ، ص 34.

[5]– المصدر نفسه، ص 37.

عند وصول الزوجان إلى القرية قابلوهم بنظرة غريبة فنطق أحمد:" بتأكيد وبنبرة حزينة هي صدى لصوت زوجته، إنها ما جاءت لتنبش أرض الماضي، ولا لتوقظ سلام الموتى وتفتح المقابر القديمة، ولا لتزرع أشواكا في الحديقة التي زرعتها أمها بيديها الدافئتين، ولا لتنكأ الجرح الذي يكون الزمن بحكمته قد رممه"[1]، مما لا شك فيه أن زوج سارة يلح على أهل القرية ويخبرهم بأن زوجته عادت لأرض وطنها للبحث عن ماضيها، وفتح الدفاتر القديمة التي اعتراها غبار النسيان، لا لزرع الشوك ولا إحياء الجراح التي كان الزمن كفيلا بمداواتها.

وفي سرد الأحداث تواصل الكاتبة قائلة:"قالوا أن حورية ماتت، وبعد أربعين سنة تأتي هذه المرأة سارة بنجامين لتحرك البركة الراكدة بيديها الرفيعتين تقذف الحجر تلو الحجر لتحرك البركة، تدفعني للكلام، ولكن هل هذا صحيح؟، هل هناك نوارة واحدة في هذا العالم؟، قد تكون امرأة أخرى، لكنها أكدت أنها من كاف الحمام سنة 1961، هل تتشابه التواريخ والأسماء إلى هذا الحد؟ لا أدري"[2]، نستدرك من هذه العبارة أنّ مهما حجبت الحقيقة إلا أنّ يأتي يوم وتظهر، هذا ما حدث لسارة ، حيث يجب أن نعود إلى كاف الحمام، لقد أخطأنا الطريق إليها، كان علينا أن نستأجر بيتا بالجوار، الثقة عامل مهم لاستكشاف الحقائق، كنا مجانين يا أحمد حين ذهبنا رقاب الناس على مذبح الحقيقة الموجعة، وكأننا نعلن عن حالة مستعصية حالة ميؤوس منها سلفا"[3].فسارة هنا تطلب من زوجها العودة إلى القرية ولابد أن يستأجرا بيتا، وأن الثقة هي السبيل الصحيح للكشف عن ما غطوه المجرمين.

تحدث أحمد قائلا:"– لا تيأسي يا سارة، جئنا من أجل هذا، لا أريد لإرادتك أن تتراخى"[4] يترجى أحمد من سارة أن لا تيأس فالطريق الحقيقة شاق مليء بالعثرات، لكن لكي تتجاوز هذه العثرات لابد منها أن تكون ذات إرادة قوية.

فأجابته سارة قائلة:"متى نحل مثل هذه المشكلة لنتصالح مع ذواتنا ونعيش بسلام.

– هذا العالم نعيش بسلام؟ يبتسم أحمد هل صرت ساذجة وبريئة؟ لعل مشاعرك رقت حين صرت تفكرين بأمك.

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 80.

[2]–المصدر نفسه، ص 132.

[3]– المصدر نفسه ، ص 135.

[4]–المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

تكف سارة عن الكلام، تدير وجهها ناحية الطريق، يسود صمت.

- هل أثرت غضبك؟

.....

- أ هذا صحيح؟ عجيب كنت أمزح.
- المزاح ليست هذه الأمور.
- إنها أمي.
- أعرف
- علي أن أعرف الحقيقة"[1].

كشفت لنا هذه المقاطع مدى إصرار سارة على مواصلة البحث على أمها، فالتشجيع الذي تلّقته من زوجها منح لها القوة والعزيمة والصبر لسّير نحو الأمام.

وقالت أيضا:"هناك حقائق كثيرة، لابد أن تظهر أمام العالم"[2]، بمعنى أنّ العالم مليء بالأسرار مخفية، التي حان الأوان الكشف عنها في ساحة الحياة.

ثم اقترحت فكرة أخرى لزوجها قائلة:"ما رأيك أن نبحث عن كل امرأة تحمل اسم نوارة؟

-جيد شرط ألا تظهر ذلك"[3]، نفهم من خلال هذا الطرح أنّ سارة تطلب من زوجها التحقيق والبحث عن كل امرأة تدعى نوارة لعلها تجد أمها، لكن دون إظهار أي علامة من علامات البحث عليها.

وتقول سارة لزوجها: "عزيزي خالد الآن نحن مرغمون على فتح صندوق الذاكرة، وفتح الكثير من القبور المنسية، على الرغم من رائحتها النتنة، أجل بعض القبور على الرغم من تقادم العهد بها مازالت تفوح منها الرائحة النتنة، لتبعد البشر عن النبش فيها؟، العلم لا يعاف الحقيقة حتى لو كانت في الفرائس، لهذا لتطمئن يا جوزيف رومان أي الافتراضي بأن عظامك ستخرج إلى العراء تحت الشمس، هو

[1]- سامية بن دريس: رائحة الذئب،ص 135.

[2]- المصدر نفسه، ص 136.

[3]- المصدر نفسه ، ص 138.

قال عن نفسه سجل بأصابعه القذرة في مذكراته غير المكتملة...."[1]، ومن هنا ندرك تشجع سارة على فتح الأبواب لماضيها النتن بما فيها تلك القبور التي اعتراها الغبار والعفن نظرا لقدمها، فالعلم لا يعاف كل هذا.

وتقول أيضا: "أفكر بالذهاب بعيدا في القضية، سأطرق جميع الأبواب سأفتح القبور المنسية، وأدق أبواب المحاكم، على شمس الحق أن تبزغ، في النهاية أنا ابنة وغد وعلي إثبات هذه الحقيقة، لقد ماتت راشيل دون أن تترك آثار قدمي زوجها، علي العودة إلى بيتها الريفي والنبش في أوراقها..."[2]، إصرار سارة على النبش وراء قضيتها التي شغلت علقها، فمازالت تحاول فتح الستار لتظهر شمس الحق، فبمجرد ظهورها أحرقتها من شدة حرّها التي تتمنى لو لم تظهر أبدا.

بعد ظهور الحقيقة تقول سارة في حق أبيها: "سأتصل بليزا بالبون لتقدم للمحكمة طلب فحص الحمض النووي، لتقديم الدليل العلمي القاطع، وإن جاءت النتيجة إيجابية سأعلن تبرئتي منه، أجل لأني سأعيش مقهورة بذكرى هذا الأب، أعمال الماء اللعين الذي لم يعرف كيف يضعه في رحم راشيل ووضعه في أماكن كثيرة"[3]، لم تتقبل سارة أن تحمل لقب جوزيف رومان، وهذا بسبب تلك الأعمال الوحشية التي مارسها في الشعب الجزائري .

وتقول في الأخير: "أعتقد أنني قد وجدت كل أدلة الإدانة، على الذاكرة أن تشفى من أوجاعها المزمنة"[4]، بعد أن وجدت سارة كل الأجوبة لكل أسئلتها، إذن ما وجب عليها الآن أن تشفى من تلك الجروح .

المبحث الثاني: الهوية الثقافية الجزائرية في الرواية

1. إثبات الهوية:

تعد قضية الهوية واحدة من بين القضايا التي اهتمت بها الرواية العربية المعاصرة، وهي قضية البحث عن الكينونة الإنسانية أي البحث عن إثبات الذات وتأكيد الهوية، حيث شكلت هاجسا لدى الإنسان

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 237.

[2]– المصدر نفسه، ص 236.

[3]–المصدر نفسه ، ص 238– 239.

[4]–المصدر نفسه ، ص 238.

العربي من حيث الأسئلة التي تثير في نفسه حول إثبات وجوده وعلاقته بوطنه ومجتمعه ولغته ودينه وعاداته وتقاليده وحتى تاريخه.

إن الهوية هي إحساس المرء بوجوده وشعوره بالانتماء إزاء مجتمع ما وحضارة ما، حيث تعرف بأنها "مجموعة المميزات الجسمية والنفسية والمعنوية والقضائية والاجتماعية والثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه وأن يقدم نفسه وأن يتعرف الناس عليه أو التي من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كإنسان له جملة من الأدوار والوظائف والتي من خلالها يشعر بأنه مقبول ومعترف به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعة أو الثقافة التي ينتمي إليها"[1]، يتضح لنا أن الهوية تشمل مجموعة من المميزات والصفات التي من خلالها يتعرف الإنسان على الشخص من يكون ومن هو.

كذلك "يرتبط مفهوم الهوية بتعارف جماعة معينة على أنها مجموعة متجانسة دينيا أو قوميا محليا أو مهنيا، فهي وعي بالذات والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروحي، ويمكنها أن تحدد توجهات الناس وأهدافهم وتدفعهما إلى العمل معا في تثبيت وجودهم والمحافظة على منجزاتهم وتحسين وضعيتهم في التاريخ، إنها إحساس الإنسان ووعيه بالانتماء إلى مجتمع أو أمة أو جماعة"[2]، فمن الضرورة وعي الإنسان لذاته وانتمائه لجماعة أو أمة مهما اختلفت معالمها ومكوناتها، وذلك بالدفع إلى تثبت الوجود والحفاظ على وضعية التاريخ.

يتعلق مفهوم الهوية في الأدب الجزائري بالفترة الاستعمارية، حيث تعتبر مسألة حساسة في الدول المحتلة والتي كانت خاضعة للاحتلال، التي يعاني شعبها من مخلفات الاستعمار الثقافية، خاصة الاحتلال الفرنسي الذي يعد من أخبث الاحتلالات في العالم، كان يرغب في طمس المعالم الوطنية كونه يسعى غلى اقتلاع هوية شعب بأكمله واستبدالها بهويته وتجريدهم من حقوقهم وسيادتهم من اللغة والثقافة والدين والتاريخ...، وذلك ولد في نفوس الجزائريين الإصرار والتمسك أكثر بهويتهم، مقاومين بضرورة إبراز وإثبات هويتهم الخاصة بهم أمام المستعمر بنشر أفكارهم وثقافتهم وشخصيتهم التي تثبت وجودهم، والتمسك بهويتهم الوطنية، وفي صدد ذلك فتح المجال للروائيين لاتخاذ ذلك الوضع موضوعا لرواياتهم،

[1]– شرقي رحيمة: الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،ع11، ورقلة الجزائر، جوان 2013، ص 193.

[2]– سالم البيض: الهوية، الإسلام، العروبة، التونسة، مركز الدراسات العربية الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 2009، ص 33.

من أجل تصوير وسرد الواقع والمعاناة التي عاشها المجتمع الجزائري في فترة الوجود الفرنسي في أراضيه، ونجد الروائية "سامية بن دريس" جسدت ملامح الهوية في روايتها "رائحة الذئب" من خلال الشخصية البطلة "سارة بنجامين" في رحلة بحثها عن حقيقتها وإثبات هويتها المفقودة التي سلبت منها من قبل المستعمر الفرنسي خلال الثورة الجزائرية منذ ولادتها.

فبدأت "سارة بنجامين" البحث عن حقيقتها وإثبات هويتها وشخصيتها بعد موت أمها راشيل بنجامين" وقراءة الرسالة التي تركتها لها، وكانت عاملا أساسيا في مساعدتها لاكتشاف هويتها الجزائرية، وأول خطوة قامت بها بعد قراءة تلك الرسالة هي السفر إلى الجزائر، تقول: "أتململ على مقعد طائرة بوينغ المتوجهة الآن من مطار أورلي إلى الجزائر في الرحلة رقم 1225"[1]. ذهبت إلى قرية "كاف الحمام" الموجودة في قسنطينة للبحث عن ذاتها وعن والديها الحقيقيين وتحقيق نسبها، وصلت سارة إلى الأرض التي ولدت فيها وشرعت في البحث عن امرأة تدعى نوارة لعلها تجيب عن تساؤلاتها.

واعتمدت الروائية في روايتها في بناء الهوية الجزائرية على أول مصدر، هو الدين الإسلامي "القرآن والسنة"، لأنه للدين أهمية كبيرة في تكوين الفرد الجزائري، وهو يعتبر أحد اللبنات الأساسية لإثبات قوائم الهوية فلا هوية بدون مرجعية دينية، يتكون من العقائد الروحانية المجسدة لثقافة شعب ما، وهو يمثل أحد مقومات إثبات الهوية، لا يمكن الاستغناء عنه في البحث عن الهوية الجزائرية، بدأت البطلة سارة بنجامين في إثبات هويتها الجزائرية من خلال استكشافها للدين الإسلامي بمساعدة زوجها احمد، حيث تعرفت على كتاب الله المقدس وعلى أركان الإسلام وأعياده، وأيضا على المحرمات التي حرمها الله تعالى وحتى الحجاب الذي يعتبر سترة للمرأة الجزائرية.

وأثبتت أيضا هويتها من خلال اللغة العربية التي تمثل الركن الثاني من أركان الشخصية الجزائرية الوطنية، وهي ثاني مقوم من مقومات إثبات الهوية وأحد الرموز المعبرة عن ثقافة الشعب الجزائري، وأيضا ربطه بدينه وتاريخه ووطنه، لكونها لغة القرآن والأمة، فالتعليم بها ونشرها يساهم في نشر الإسلام والقيم الأخلاقية، وهي واجبة على كل فرد جزائري تعلمها لأنها المعبر الأساسي لمسألة الهوية الوطنية،

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 30.

وهي تقوم على وحدة تمسك المجتمع، حيث تقول سارة: "إني تعلمت بعض الكلمات العربية، السلام عليكم وصباح الخير، الحمد لله"[1].

قامت بإثبات هويتها من خلال تعرفها على تاريخ الجزائر، الذي يعتبر مرآة الهوية الجزائرية وأهم مقوماتها، ولكل أمة تاريخها الخاص بها، بواسطة الأحداث التي يمر بها الفرد والمجتمع، تعرفت على تاريخ قريتها كاف الحمام من خلال الحكايات التي ترويها الحاجة ذهبية عن الاستعمار الفرنسي وما فعله في الشعب الجزائري من جرائم القتل والتعذيب والاغتصاب وسلب الهويات خلال الحرب، وعلى والدها "جوزيف رومان" أحد العساكر الفرنسيين الذي كان يقوم بعمليات التمشيط في تلك القرية، وهو معروف بقسوته وتعذيبه للناس دون رحمة.

أثبتت أيضا هويتها عن طريق اكتشافها للتراث الجزائري وثقافته، الذي يمثل رمزا من رموز الهوية الوطنية الخاصة بالمجتمع، تعرف الجزائر باتساعها الجغرافي واتساع آخر وهو الاتساع الثقافي المتنوع والموروث عن الأجيال، وما يزال التراث يشكل تاريخا قائما بذاته، ويتمثل التراث الجزائري في كل ما تركه الأجداد من مخلفات مادية وفكرية ومعنوية، ويتصف التراث الثقافي من خلال: الأمثال والطب التقليدي، الأكلات الشعبية ونمط الحياة كالطرق والاحتفال والرقص، وتكمل أهميته في دعم وتنشيط السياحة الوطنية، ويتجلى ذلك من خلال الرواية: "قدم عشاء خاصا مكونا من الكسكس بلحم الخروف وطاجين الزيتون، قال أحمد هذه هي الأطباق المفضلة في أعراس الشرق الجزائري، ولو كنت في البلاد لكان هذا هو الطعام المقدم، ربما كانت أمي تفضل الشخشوخة"[2]، يعتبر الكسكس بلحم الخروف وطاجين الزيتون والشخشوخة من الأكلات الشعبية، وهي من الأطباق المفضلة لدى الجزائريين في الأعراس والحفلات.

قالوا ناس زمان: "يكذب اللوز وما يكذبش المشماش، يكذب الشيب وما يكذبش التكماس"[3]، يصنف هذا القول ضمن الأمثال الشعبية التي تمثل جزء من التراث الثقافي الجزائري.

"مسحت الجراح بقطعة ثوب قديم لكنه نظيف وذرذرت الزعتر المسحوق والحناء عليها"[1]. الزعتر والحناء يستخدمهما الشعب الجزائري كدواء لمعالجة الجرحى.

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 63.

[2]– المصدر نفسه، ص 64.

[3]– المصدر نفسه ، ص 163.

بعد رحلة سارة بنجامين إلى الجزائر وإقامتها فيها عبرت دروبا باحثة عن هويتها المفقودة والتي سلبت منها، قامت بإثبات انتمائها للهوية الجزائرية، فتعرفت واستكشفت مقوماتها: الدين، التاريخ، اللغة، التراث والثقافة. من خلال ذلك أثبتت نسبها وعرفت حقيقتها ووالديها البيولوجيين، أمها نوارة إحدى ضحايا المحتل الفرنسي وأبوها جوزيف رومان الجنرال الفرنسي، واسمها الحقيقي "حورية".

فموضوع الهوية من المواضيع التي تناولها الأدب العربي المعاصر، فهي من مخلفات الاستعمار الذي حاول طمس الهوية العربية الإسلامية في الجزائر، فلكل أمة هويتها التي تميزها عن غيرها من الأمم وتستمد منها بقاءها ووحدتها. فالمجتمع الجزائري يتميز بتنوعه وثراء تاريخه وثقافته، ومن أهم مقوماته الدين الإسلامي المنظم لجميع جوانب الحياة، واللغة العربية الرسمية، كذلك التنوع الثقافي الذي يبرز في نمط الحياة ومختلف الفنون والصناعات التقليدية.

نخلص إلى أن الهوية كنز ثمين يجب المحافظة عليه والافتخار والتمسك بها وحفظها.

2. الهوية والانتماء:

إنَ الحاجة للانتماء من الحاجات الضرورية والأساسية التي يسعى جميع الأفراد لتحقيقها، فالكل يسعى لتحقيق الانتساب لمكان ما يشعر بأمان فيه، حيث يستحيل الإنسان أن يعيش بدونه كونه يلد مع الفرد من ولادته ثم ينمو يصبح انتماءه الأسرة ثم للمجتمع ثم للوطن، ويتعمق فيها حينما يسود فيه الإحساس بأنَه له دور في المجتمع وأنَ المجتمع في حاجة له.

ويعرَفه **حسن منصور** على أنه:" الانتماء لأسرة هو أول انتماء يحس به الطفل ويتوفر هذا الشعور لإنسان في مراحل حياته الأولى ومنه يتعلم الانتماء غلى المجتمع وغلى الوطن"[2]، على ضوء هذا القول تبين لنا أنَ الأسرة عبارة عن مدرسة تعلم أفرادها معنى وأهمية الانتماء وهي أول شعور يحس به الطفل من لحظة مولده.

ويشير أيضا إلى أنه:" في الحقيقة شعور فردي بالثقة يملأ نفس شعور بأن الإنسان ليس وحيدا وليس ضعيفا ولا يسير منفردا في عالم يجهله بل هو يملك السند وأنَه جزء من جماعته يمكن أن تدافع عنه ضد

---

[1]–سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 125.

[2]– حسن منصور: الانتماء والاغتراب، د.ط،خميس مشيط ،1989، ص 32.

المجهول ساء كان هذا المجهول قوة معادية أو ظروف قاهرة أو شيء آخر"[1]، من هنا يمكننا القول على أن الانتماء هو شعور الفرد بثقة النفس والاطمئنان لأنه مرتبط مع جماعة تزوده الاستقرار والحماية في مواجهة ظروف معيشية.

ورد في معجم العلوم الاجتماعية على أنَ:" الانتماء هو انتماء الفرد إلى الجماعة، ويرغب الفرد عادة في الانتماء غلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوجد نفسه بها كالأسرة أو النادي أو الشركة أو المصنع ذي المركز الممتاز"[2]،إذن الانتماء هو ارتباط الفرد بالجماعة ورغبته لانتمائه لأسرة قوية وينغمس فيها شخصيته ويندمج فيها .

ففي القرآن الكريم دعا الإسلام إلى الانتماء في سورة حجرات:﴿ يَا أَيُهَا النَّاسُ إِنَّ خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَكُمْ إِنَّ الله عَلِيْمٌ خَبِيرْ﴾[الحجرات،الآية 13]. يخبرنا الله تعالى في هذه الآية على أنه خلق بني أدام من أصل واحد وجنس واحد وكلهم من ذكر وأنثى ويرجعون جميعهم غلى آدم وحواء ، وبث الله عز وجل منهما رجلا ونساء وفرقهم وجعلهم شعوبا وقبائل ذلك من أجل التعارف و... بالأنساب، فينتسب كل فرد إلى أبائه ليتواصلوا فيها بينهما على البر والتقوى ، ونهاهم عن التفاخر بالأنساب.

وفي قول **نادية مصطفى:**" إنَ الانتماءات لا تتكافأ من حيث الاختيار والاضطرار، فبعض الانتماءات تولد مع الإنسان ولا خيار له في استمرارها كالانتماء العائلي والوطني واللغوي والعرقي والإقليمي، وبعضها يكون للمرء خيار في استمراره أو عدمه كالدين والمذهب، وبعضهما يتخيره الإنسان بعد تميزه واكتمال وعيه كالتوجه السياسي والإيديولوجي وما إليه"[3]،على هذا الصدد يمكن القول أنّ الانتماء ينقسم إلى اثنان: انتماء يلد مع الإنسان لاختيار فيه كالأسرة والوطن واللغة، أما الثاني هو انتماء يقتضي على المرء الخيار فيه والتصرف كما يبدو له كالدين والتوجه السياسي..

---

[1]– حسن منصور: الانتماء والاغتراب ، ص 14.

[2]– أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، انجليزي فرنسي عربي، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، د.ط، بيروت، د.ت، ص 39.

[3]–نادية مصطفى وآخرون: كتاب دوائر الانتماء وتأصيل الهوية، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، القاهرة، 2013، ص11.

كما تقول أيضا:" إن الانتماء لا يكتمل ولا يتحقق إلا حين يجب المرء لأهله ما يحب لنفسه وحين يكره لهم ما يكره لنفسه، إلا حين يسعى في مصالح دائرة انتماءه كأنّها هي مصلحة الخاصة"[1]، أي أنّ الانتماء شرع عن طريقه تسود الألفة والمحبة في المجتمع، ولا يتحقق ذلك إلا إذا حرص كل فرد من أفراده على مصلحة غيره وهذا يؤدي إلى أن يكون المجتمع قوي الروابط، وعلى ذلك أمرنا الله عز وجل على حب الخير للغير.

ولعل المتطلع على رواية **رائحة الذئب** يجد أنّها تعج بالانتماء، ومن أبرزها نذكر ما يجب ذكره:

-الدين:

يعرف الدين على أنّه عقيدة يعتنقها الإنسان ويؤمن بها، وشريعة يتعبد بها، ويلتزم أوامرها ويتجنب نواهيها، وهو أيضا ملجأ للإنسان من هموم ومصاعب الحياة فهو يبحث على الراحة والطمأنينة والسعادة في نفس الإنسان.

عليه جاء تعريف الدين عند الفلاسفة على أنّه:"جملة من والاعتقادات ولأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله وعبادتها إياه، وطاعتها لأوامره"[2]،فالدين يكمن داخل باطن الفرد الذي يظهر على شكل جملة من السلوكيات والتصرفات التي تصف لنا مدى تعلقه بالله وعبادته وطاعته له .

كما يذهب أيضا **ثائر رحيم كاظم** في قوله:" أهم عناصر الهوية الدين إذ تذوب في الحروب هويات متعددة العناصر، وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي الشائعة وغالبا ما تحدد هذه الهوية دائما بالدين"[3]،نفهم من هذا القول على أن للدين دورا هاما في تحديد هوية الأفراد والجماعات.

تزخر رواية **رائحة الذئب** بالعديد من المفردات الدالة على الجانب الديني، وهذا دليل على مدى تأثر الروائية **سامية بن دريس** بالدين الإسلامي فجعلته كقطعة تفتخر به في روايتها. في قولها:" ﴿تولج الليل في النهار وتزلج النهار في الليل وتخرج الميت من الحي وتخرج الحي من الميت وترزق من تشاء بغير

[1]– نادية مصطفى وآخرون: كتاب دوائر الانتماء وتأصيل الهوية، ص 18.

[2]– جميل صليبا: معجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1982، ص573.

[3]– ثائر رحيم كاظم: العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية، كلية الأدب، جامعة القدسية، بغداد العراق، ع1، مج8، 2009، ص259.

حساب﴾[سورة آل عمران، الاية27]"[1]. "ودلائل هذه الآية هو قدرة الله عز وجل على إدخال الليل في النهار، وإدخال النهار في الليل فيطول ذلك أو يقصره ويخرج الحي من الميت الذي لا حياة فيه كإخراج الزرع من الحب والمؤمن من الكافر، ويخرج الميت من الحي كإخراج البيض من الدجاج ويرزق من يشاء من خلقه بغير حساب.

وردت في الرواية لفظة الحجاب، في قول سارة: "لا شك أنها تتلفع في ثوب فضفاض يسمونه الحجاب كذلك الذي ترتديه مليكة صاحبة مطعم البركة وهي فضل عن ذلك وفي بؤرة وربيعها تبدو مطمئنة تماما إلى ثوبها فتعقد حول رأسها منديل يمتد ليغطي رقبتها وصدرها مانعا تطفل الشعيرات الفضولية ، كما تفعل النساء العربيات"[2]، من هذا القول نؤكد أنّ الحجاب في الإسلام سترة وهو أحد الفروض الواجبة على المرأة في الشريعة الإسلامية.

في قولها أيضا:" الحقيقة أني صدمت في البداية من امتناعهم عن تقديم المشروبات الروحية ثم احترمت القرار، حين علمت أنّه يرتبط بالديانة عجيب هناك دين يتحتم على الإنسان أن يبقى صاحيا لأنّ العقل هو أعظم الهبات اللاهية، شيء آخر صدمني، اللحم الحلال بمعنى أن الحيوان وهو عادة خروف أو بقرة أو دجاجة أو ما شابه. يجب أن يكون مذبوحا على الطريقة الإسلامية وهكذا فهمت بعد فوات الأوان أن مطعم مخصص للمسلمين ومن زواياه تفوح رائحة المسك والعنبر، والحقيقة أنّي استغربت في البداية وأعرضت عن تذوقه"[3]، في هذه التركيبة اللغوية دالان بارزان عن رمزية الدين، فالدال الأول يدعي عن تحريم المشروبات الروحية الذي هو الخمر دليل هذا في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ أَمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرَ والمَيْسِرَ والأَنْصَاب وَالأَزْلاَمُ رِجْسُ من عَمَلِ الشَّيَطَان فَاجْتَنبوه لَعَلَكُمْ تَفْلِحون﴾ [سورة المائدة، الآية 90] . في قول تعالى: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنْ الخَمْرَ والمَيْسِرَ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيْر﴾ [سورة البقرة، الآية 219]. في هذه الآيات بيان عظيم من ربنا عز وجل على تحريم الخمر لأنه يفسد العقول والأبدان والأديان والأموال، وينتج عنه العديد من الأضرار مثل صداع الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية.

– أمّا الرمز الثاني يتمثل في حث الإسلام على الأكل الحلال والحذر من الأكل الحرام. قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا اللّذينَ آمَنُوا كُلُوا من الطّيِّبات ما رَزَقْنَاكُمْ واشْكَرُوا الله إنْ كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونْ﴾ [سورة البقرة ،

[1]– ثائر رحيم كاظم: العولمة والمواطنة والهوية ، ص30.

[2]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 33.

[3]–المصدر نفسه، ص 63–64.

الآية 172] ، وللأكل الحلال أثر عظيم من صفاء القلب واستجابة الدعاء والعبادة، فلذلك يحرص المؤمن على أكل الطّيبات لأثارها الطّيبة على النفوس والأبدان ويبتعد عن أكل الحرام لأثاره الضّارة.

كما وردت أيضا لفظة " المسك والعنبر" وهي عبارة عن نوع من العطور المتداولة والمشهورة عند العرب، وكان من أفضل العطور في زمن الرسول صّلى الله عليه وسلّم ، وقد اشتهر بسبب رائحته الطيّبة وشعور الإنسان بالراحة والسكينة في شمّها.

كذلك من بين الألفاظ البارزة في الرواية، نجد: " نحمد الله ،أستغفر الله العظيم ، عليه الرحمة"، وفي قول آخر حيث قيل فيه:" سبحان الله، الحمد لله ، الله أكبر، سبحان الله والحمد لله والله أكبر"[1]، وفي عبارة أخرى حيث ورد فيها قول:" توكلي على الله ، الله يستر، ربي يسترنا ويستر المؤمنين، إن شاء الله وينصرنا، أمين أمين"[2]، نلاحظ أنَ معجم الرواية مشحون العديد من المفردات تنتج نحو مركزية الإسلام، فالمسلم الحقيقي يتذكر الله دائما ويحمده ويشكره ويستغفره ويدعو بالستر والنصر.

كما جاء أيضا في الرواية التذكير بقراءة القرآن وتلاوته، وقول الكاتبة:" سأختم القرآن العظيم مثل سيدي عبد المجيد؟ وربما سيكون لي حظ آخر لا أعرف ما الأمر الذي استقر في قلب أبي، فقد بدأ تحفيظي كتاب الله منذ ثلاث سنوات ، بلغت سورة الدخان، وأنا بعد في السادسة"[3]، من هذا الطرح تبين لنا أن لقارئ القرآن فضل عظيم ، فعن طريقه ينال المسلم الحسنات والأجر العظيم في قول النبي صلى الله عليه وسلّم: "من قرأ حرف من كتاب الله فله بحسنة"، ولحافظه أيضا أجر عظيم عند الله لانّ به يشفع يوم القيامة ويعلى له المنزلة ودرجة في الجنّة.

ونجد أيضا الكاتبة قد استهلت في روايتها ركنين من أركان الإسلام فتقول:" تبدأ الحياة لديه عند الفجر، وبعد الصلاة وتلاوة القرآن وقراءة الأدعية والأوراد، وعندها تكون حنجرته قد تمزقت على برودة الهواء. وبعد أن يلين أوتار حلقه ببعض الزيت والتمر يصبح صوته كأنه أوتي مزمارا من مزامير داود"[4].

وتقول أيضا:" فلما أحضروا له الماء توضؤ واستقبل القبلة وصلى ركعتين في الضحى"[1].

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 165.

[2]– المصدر نفسه، ص 210.

[3]– المصدر نفسه ، ص 173.

[4]– المصدر نفسه، ص 200.

وبعدها :" أدينا صلاة المغرب وخرج سيدي عبد المجيد من جديد تحت شجرة الدر دار....عند العصر بلغنا عبد القادر وأنا الدار"[2].

"عند العصر بلغنا عبد القادر وأنا الدار"[3].

الركن الأول الذي أشارت إلية الكاتبة هو ركن الصلاة ، فالصلاة رمز التدين والتقرب من الله عز وجل واللجوء إليه كل يوم في خمسة أوقات فهي تشعر الإنسان عند قيامها بالراحة والطمأنينة والسكينة فهي تبعد عن الفحشاء والمنكر فهي عمود الإسلام وأعظم فريضة .

أما الركن الثاني هو الصوم في قولها:" لا أوصيك يا سيدي الشيخ أن تقيس الولد فقد يكون بلغ موعد الصوم. عليك أن تقيسه لا تنسى هذا، قامته طالت ونح لم ننتبه لا أريد كفارة في عنقي"[4]، رد عليها الشيخ قائلا:" في الغد سأقيس كل الفتيان الذين بلغهم والدين لم يبلغهم موعد الصوم"، فالصوم في الشرع عبادة وهو الإمساك عن المفطرات على وجه مخصوص من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، والصوم شهر رمضان فريضة فرضها الله تعالى على جميع المسلمين وهو أحد أركان الخمس وفضائله عديدة يشرع قيام لياليه خصوصا العشر الأواخر فيه ليلة القدر، لقوله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامْ﴾ [سورة البقرة ، الآية 183].

كما اقتبست من القرآن الكريم أية من الآيات، في قوله تعالى:﴿ إنَّ الساعة آتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ [سورة غافر، الآية 59]،

واقتبست أيضا من سورة الحج: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم [سورة الحج، الآية 1].

تمكنت الروائية من خلال هذه الألفاظ الدينية أن تحدد هوية وانتماء للبطلة سارة بنجامين التي هي في حقيقتها تنتمي إليه. وإنه واجب المسلم تجاه هذا الدين أن يكون منتميا انتماء حقيقيا له فلا يكفي أن يقول

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 204.

[2]–المصدر نفسه ، ص 212.

[3]–المصدر نفسه ، ص 212

[4]–المصدر نفسه ، ص 178.

الإنسان إني مسلم فقط دون أن يظهر انتمائه إليه و على العقيدة ويجب أيضا أن يكون محبا له حبا يمتلك قلبه وجوارحه .

-اللغة:

تعتبر اللغة شكلا من أشكال السلوك الإنساني، بها يعبر الإنسان عن ذاته ورغباته وميولاته، وبها يتواصل مع أفراد مجتمعه، حيث تساهم في تنمية الشخصية وزيادة الثقة بالنفس. بالإضافة إلى فهم الثقافات والعادات المختلفة، كما تلعب دورا مهما في تعزيز العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وتعزيز التواصل الفعال بينهم. واللغة أساس الحضارة البشرية والوسيلة التي تتواصل بها الأجيال فبها تنتقل الخبرات والمعارف والمنجزات الحضارية، ونجد أنّ اللغة هي أرقى وأجمل ما لدى الإنسان وهي منبع قوته وتفرده، فاللغة هي العنصر التي تميزه عن غيره من الكائنات.وهو الوحيد القادر على تلخيص أفكاره ومشاعره وتجاربه عن طريق الكلام والكتابة.

قد عرفها **مارتن هايدجر** على أنّها:" مسكن الكينونة حيث يعيش الإنسان في ملجئها"[1]، أي أنّ اللغة تعتبر كينونة الإنسان ووجوده ، فإذن هي تقوم على تثبت هويته. وإنّ أول ما تعلمه الإنسان هي اللغة بوصفها وسيلة التفكير، في قول تعالى:"﴿ علّمَ آدمْ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ على الملائِكة﴾" [سورة البقرة، الآية 31].

وتعرف أيضا على أنّها:" وظيفة التعبير اللفظي عن الفكر سواء أكان داخليا أو خارجيا ، وهي استعمال وظيفة التعبير اللفظي عن الفكر عن حالة معينة، واللغة أيضا هي كل نظام من العلاقات الدالة يمكن أن يستخدم وسيلة اتصال، ثم هي القدرة على اختراع العلاقة الدالة أو استعمالها قصد أو عمدا"[2]، يتضح لنا في هذا التعريف بأنَ اللغة وظيفة للتعبير عن خفايا العقل بالألفاظ ويستعمل هذا التعبير في حالة معينة، كما أنَها منهج من العلاقات ذات الدلالية تستعمل كوسيلة لاتصال.

[1]–مارتن هايدجر: الفلسفة الهوية والذات، تر: محمد مزيان ، منشورات الضفاف، ط1، بيروت–لبنان، 1436هـ–2015م، ص 119.

[2]– محمود خليل، محمد منصور هيبة: إنتاج اللغة الإعلامية في النصوص الإعلامية، ط1، القاهرة، 2009، ص 33.

كما جاءت اللغة في قول **أحمد محمود المعتوق** على أنّها:" قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما"[1]،من هذا المنظور تعتبر اللغة قدرة عقلية، يكتسبها الإنسان وهي عبارة عن نظام من الرموز العشوائية الشفوية التي تقوم بالتواصل مع أفراد المجتمع.

إنّ اللغة تلعب دورا مهم في بيان انسجام الرواية واتّساقها، كونها تقوم على إثبات الهوية والانتماء للوطن، وتعد وعاء للمؤلف في إبلاغ الرسالة للمتلقي وهي الوسيلة التي يعتمدها لإيصال أفكاره، وهي تعتبر جوهرية في العمل الروائي، فنجد أنّ الروائية سامية بن دريس في روايتها رائحة الذب قد وظفت بجدارة اللغة العربية ، والتي كانت أكثر بروزا ووضوحا مما جعل القارئ يفهم محتوى الرواية بسهولة ويتجلى ذلك في قول سارة:" لقد تدربت على الكتابة من اليسار إلى اليمين فما الذي يمنعني من الكتابة بدأ من اليمين"[2]، كما تقول"هناك أغنية عربية لفنان مصري. تتحدث عن هذا الوضع اسمها "الشرق شرق و الغرب غرب لقد نسيت كالمتها ماعدا هذه البداية"[3]، وتقول أيضا:" قد بدأت أحبو لأصعد حبل اللغة العربية وأفك أبجديتها "[4]، وتواصل القول:" ستتغير اللهجة بالتدريج وستظهر لغة أخرى أكثر رقة وستبدو الأصوات عذبة ولها موسيقية لينة "[5]، من خلال هذه العبارات نستنتج أنّ الروائية وظفت اللغة العربية الفصحى لتبين مدى تعلقها بهذه اللغة والإعجاب بها والإرادة في تعليمها، كونها لغة راقية ذات أصوات عذبة تشبه الموسيقى ، في قول أحمد إبراهيم:" أنّ اللغة العربية إحدى اللغات السامية وأرقاها مبنى واشتقاق وتركيب"[6]، من خلال هذا السند نقول أن أصل اللغة العربية من فصيلة الدلالة. كل لفظة من ذاتها تحتوي على العديد من الدلالات، كما أنّها تتميز بخاصية الاشتقاق يمكن الاشتقاق منها العديد من الألفاظ والعبارات.

---

[1]– أحمد محمود المعتوق: الحصيلة اللغوية أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 1996، ص 31.

[2]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 10.

[3]– المصدر نفسه ، ص 54.

[4]– المصدر نفسه ، ص 63.

[5]– المصدر نفسه ، ص 69.

[6]– أحمد إبراهيم لومان: أسالب تدريس اللغة الغربية، دار زهران، ط1، عمان – الأردن، 1431هـ–2010م، ص 31.

أما اللغة العامية لها عرض ودلالة خاصة، قد وردت في أكثر من موضع وهي التي تبث الانتماء الوطني الجزائري. ونلاحظ أنّ في هذه الرواية اللغة العامية ظاهرة أكثر في الأمثال الشعبية. في قول ذهبية: "عش تشوف آخر الزمان"[1]، يضرب هذا المثل عندما يواجه الإنسان أمر غريب.

تقول أيضا: "زوج ذراري طلعوا لجبال هزوا سبتة وزادو رافال"[2]، هذا القول عبارة عن أغنية ثورية من الأوراس.

في مثال آخر تقول:" سبحان الله فولة وتقسمت كأنّ طاووس ولدت نفسها"[3]، هذا المثل هو مجرد كلمات واصفة لعلاقة قوية بين اثنين أو سمة تشابه بين فردين.

كما تقول أيضا:" الراقد ما عطاتو مو الكسرة"[4]، يضرب هذا المثل على الشخص الكسول الذي يجب أن يتكل على نفسه.

تقول أيضا :" قالو ناس زمان يكذب اللوز ما يكذبش المشماش، يكذب الشيب ما يكذبش التكماش"[5]، نفهم من هذا القول أن الشخص قد يبيض شعره وهو مازال في طور الشباب، فإنّ الشيب لا يكون دليل على الشيخوخة.

تقول:" سعدك يا فاعل الخير"[6]، يضرب هذا المثل لاستشارة على الهمم لفعل الخير دون رجاء القابل. نجدها في قول آخر:" راحت الدنيا زهو الدنيا شقاها"[7]، يضرب هذا المثل على ضرورة عدم تبديل الشقاء بالتعاسة.

يتضح لنا من خلال أن الروائية مزجت بين اللغتين الفصحة والعامية، وهذا المزج لم ينقص من قيمة ودلالة الرواية بل زادها فنا وإبداعا.

---

[1]– سامية بن دريس: رواية رائحة الذئب، ص 83.

[2]– المصدر نفسه ، ص 94.

[3]– –المصدر نفسه، ص 110.

[4]–المصدر نفسه، ص 113.

[5]– المصدر نفسه، ص 163.

[6]– المصدر نفسه ، ص 168.

[7]–المصدر نفسه، ص 200.

-الوطن:

إنّ الوطن نعمة من الله عز وجل وأغلى شيء يمتلكه الإنسان في حياته فهو من يحدد هوية الإنسان، فيه يشعر الإنسان بالأمان والاستقرار ويوفر له كافة الخدمات والاحتياجات. وللوطن حقوق وواجبات ينبغي القيام بها فمن واجب الإنسان نحو وطنه الحفاظ عليه وحمايته.

وردت كلمة الوطن في لسان العرب:" الوطن المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله"[1]، أي أنّ الوطن عبارة عن المنزل الذي يعيش فيه الإنسان، مريحا ومستقرا.

ويعرف أيضا:" الوطن بالمعنى العام منزل الإقامة والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد به الإنسان أو نشا فيه"[2]، بمعنى أنّ الوطن يشبه ذلك المنزل الذي يؤوى فيه الإنسان.

كما عرفه الجرجاني في قوله:" الوطن الأصلي هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه"[3]، حسب جرجاني نرى أن الوطن هو المكان الذي يولد فيه الإنسان ويعيش فيه.

إن الهوية مبدأ أساسي في الكتابة الروائية كونها تبرز شخصية الروائي وتحدد توجهه ومدى تعلقه لوطنه وهذا ما نلاحظ في رواية رائحة الذئب وتزخر هذه الرواية بحقل دلالي واسع من المفردات الوطنية الدالة على تجسيد الهوية والانتماء ويتجلى ذلك:

في قول راشيل بنجامين:"إذا شفيت سأصطحبك في رحلة إلى الجزائر، نعم أنا وأنت، سأذهب بك إلى قسنطينة سنبحث عن بيتي هناك"[4]،من هذا القول حددت الروائية لنا هويتها هو الانتماء للوطن الجزائري، بالضبط مدينة قسنطينة والشوق لبيتها والرغبة في العودة إلى أرض الوطن.

تجيب سارة قائلة وهي في رحلة إلى الجزائر:" أتململ على مقعد الطائرة البوينغ المتوجهة الآن من مطار أوروبي إلى الجزائر في رحلة رقم 1225"[5]، عودة البطلة إلى أرض الوطن لبحث عن ذاتها وهويتها المفقودة. فتقول في نفسها:" يمكن أن تكون رحلتي مجرد زيارة مجاملة إلى الأرض التي ولدت

---

[1]– ابن منظور: لسان العرب،دار المعارف، ط1، القاهرة،د.ت، ص4894.

[2]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني،ط.د.ط، بيروت،1982ص 1349.

[3]– علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، دار الفضيلة،د.ط، القاهرة، ص 212.

[4]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 26.

[5]–المصدر نفسه ، ص 30.

عليها وفاء لذكرى راشيل، وهي في الأغلب زيارة عارية من مشاعر الحنين"[1]، فرحلتها إلى الوطن لم يكن بسبب حنينها وشوقها بل كانت رحلة مليئة بالمشقة والخوف من مواجهة حقيقتها، وهي حالمة لو أصبحت كنجمة ساطعة تكتفي فقط ببريقها فتقول:" أحلم لو كنت نجمة ساطعة، لا حاجة لها إلى الانتماء إلى أم وأب وإلى أرض وقوم ولغة نجمة تكتفي ببريقها دون أن تشتبك في مأزق الهوية"[2]، تحلم لو كانت نجمة في السماء لا تعنيها فكرة الانتماء لشيء، فتعترف في قولها:" مارسيليا وطن ملوّن يفتح صدره للجميع، دون أن تسألني من أنا مدت ذراعيها واحتضنتني"[3]، تبين من خلال هذا القول أن الغريب يبقى غريب في أرض أخرى غير وطنه، فبرغم من توفيرها للإمكانيات لكنه يبقى غريب.

-التاريخ:

يعد التاريخ المحرك الأساسي لسرد الأحداث وعلم يقوم بدراسة الماضي والأحداث السابقة ومحاولة تخيّلها، ويربط أيضا الحاضر بالماضي. لهذا فتعرف **فتيحة عبد الفاتح** التاريخ أنّه:" دون شك هو حياة الشعوب ومن ثم فهو نبض حي يتجدد حياة المجتمعات، وهو يسجل تفاعل الإنسان مع بيئته، بما يتضمن ذلك من عصارة فكره، ونتاج تجاربه وتناغمه مع ما حوله من ظواهر وما يتجدد حوله من ظروف وملابسات"[4]، أي أن التاريخ عبارة عن أحداث عاشها الإنسان قديما الذي يحي كلما أحيا الإنسان أحداثه فالتاريخ يسجل كل مراحل الإنسان منذ ولادته.

ويقال أيضا أنّه:" بؤرة العلوم الاجتماعية والإنسانية ومركز انطلاقها ولا يستطيع الباحث في أي فروع من فروع العلوم الاجتماعية والإنسانية أن يقوم بدراسة موضوعية في تخصصه دون أن يمر على التاريخ ويستفيد من حركته الاجتماعية كما يحتاج المؤرخ في أبحاثه إلى الاعتماد على بعض العلوم المساعدة التي تسهل له فهم حركة التاريخ وتبين مساراته"[5]، نستنتج مما سلف أنّ التاريخ محور متفرع من العلوم الاجتماعية والإنسانية، بهذا فلا يمكن للباحث دراسة موضوع ما دون أن يجتاز من التاريخ .

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 32.

[2]– المصدر نفسه، ص 66.

[3]–المصدر نفسه ، ص 55.

[4]–فتيحة عبد الفتاح النبراوي: علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، دار الأفاق العربية، ط2، القاهرة، 1996، ص 22.

[5]– عادل حسن غنيم، جمال محمود حجر: في منهج البحث التاريخي، دار المعرفة الجامعية، ط2، القاهرة، 1993، ص36.

وكذلك يرى أنّ التاريخ عبارة عن سجل مسيرة البشرية، وهو المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية أو هو ذلك السفر الخالد الذي يحوي بين دفتيه كل التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي مرت بها البشرية من قدر الإنسان أن يترك أثاره على الأرض حتى تنتهي الدنيا وما عليها"[1]، فالتاريخ يتضمن كل صغيرة وكبيرة عن حياة الإنسان منذ ولادته، ولا ينفصل عنه حتى مماته كما هو مصدر أساسي يتضمن كل التطورات التي يمر بها الإنسان.

لهذا فاستخدام التاريخ في الروايات العربية المعاصرة يعد مادة خامة كونه يقوم ببناء الرواية، وفي الرواية الجزائرية يعتبر توظيفة من الظواهر الأدبية، حيث نجد التاريخ فيها حاضرا بشكل مباشر وواضح، قد نجده في الكثير من الروايات الجزائرية التي استمدت كتاباتها في فترة الاستعمار.

يعتبر التاريخ من بين أبرز مقومات الهوية، يستخدمه الروائي كمنهج لدراسة البحث عن الهوية والانتماء وهذا ما قامت به الكاتبة في روايتها المعنونة برائحة الذئب حيث عن طريقها أثبتت الهوية الجزائرية فاتخذت سارة كبطلة كشفت لنا هذه الهوية. تناولت الروائية تاريخ الثورة الجزائرية التي هي نزاع مسلح اندلع بين فرنسا وجبهة التحرير الوطني الجزائري، في قول راشيل بنجامين:" كان زوجي قد قتل أثناء حرب الجزائر، مازال دمه طازج فوق الصخور، كما تقول يوم 13 نوفمبر 1960 مخلف عند عتبة الباب"[2]، يدل هذا القول هذا على موت جوزيف رومان خلال الحرب على يد الجزائريين.

ويقول أيضا: "جاء الغريبان ليذكراني بمعركة كاف الحمام فجأة أحست بقشعريرة واعترتني وحمى"[3]،" لقد عاد من الحرب وهذا هو الأهم، وهي تحمد الله على ذلك "[4]، "البركة فيما عتت، ألا يكفي أنني شهدت الاستقلال"[5]، "هذا من الماضي لكنّه ماضي طازج ودم الجريمة مازال على الجدران"[6]. "ربما أنت على حق حق ولا تنسى أني ضحية الحرب "[7].

---

[1]– عادل حسن غنيم، جمال محمود حجر: في منهج البحث التاريخي، ص 22.

[2]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 55.

[3]– المصدر نفسه، ص 119.

[4]– المصدر نفسه، ص 115.

[5]– المصدر نفسه ، ص 163.

[6]–المصدر نفسه، ص 136.

[7]–المصدر نفسه، ص 136.

تبين لنا الروائية في هذه العبارات أن الاحتلال الفرنسي من أطول وأبشع أنواع الاحتلال في العصر الحديث ، ارتكب قواته أفضع الجرائم ضد الإنسان والبيئة، وانتهجت سياسة الإبادة الجماعية والتهجير القسري والفردي والقتل والتعصيب والاغتصاب والتجويع. وتعد قرية كاف الحمام من إحدى المنطق التي عشت كل هذه الجرائم التي سبق وذكرناها.

ومن منظور آخر وظفت الروائية مصطلح التاريخ لإثبات الهوية وتحقيق الانتماء، في قول سارة:" يمكنني القول دون ارتياب بأن رسالتها هي بداية طريق الشك للبحث عن تاريخي الحجر الذي حرك ماء البحرية الراكدة ميلادي الغامض الطفلة العارية على رصيف الضفة الأخرى التي عليّ المرور نحوها"[1]، وتواصل:" عليّ فتح علبة التاريخ صندوق بنادورا عامر، آه بنجامين وحورية بن نوارة من أنت؟"[2]، وتقول: "ثمة أسئلة تفرض نفسها، تاريخ ميلادي يحمل رائحة الشك، كيف أكون في ذلك الزمن الملتهب حصلة زواج جزائرية بفرنسي"[3]، ومن ذلك": عثرت على تحفة تاريخية ثمينة وقطعة نادرة، والحقيقة أنني أصبحت في ظرف خاص جزء مهم من تاريخ الجزائر"[4]، فمن خلال هذه الأقوال نلاحظ أنّ الروائية تنبش تنبش التاريخ وتقلب أوراقه بحثا عن الهوية الشخصية وتحقيق الانتساب.

وبعد هذه الرحلة تظهر دروب الهوية والانتماء في رواية رائحة الذئب و نستخلص أنّ الهوية هي بطاقة تعريف الفرد وإحساسه بانتمائه الوطني والقومي، نقصد بها إحساس الشخص بأنه يعرف من هو؟ والى أين يتجه؟ والفرد إذا كان لديه شعور قوي بالهوية يرى نفسه إنسان فريد متكامل، يتوفر لشخصيته وسلوكه قدر من الثبات والإنسان على مر الزمان وقد تتشكل الهوية من عدة ركائز أهمها الدين اللغة والتاريخ والوطن والعادات والتقاليد.

3. الهوية والشخصية:

تعد الشخصية أحد أهم المقومات التي يبنى عليها العمل الروائي، فهي بمثابة المحرك الأساسي الذي يصور لنا الواقع الإنساني بكل حالاته. فلا يمكن أن نتصور رواية بدون حضور الشخصيات .

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 34.

[2]– المصدر نفسه، ص 236.

[3]–المصدر نفسه، ص 35.

[4]–المصدر نفسه، ص 55.

فالروائي يجسد الشخصيات كأنَه ينحت في تمثال بأدواته الفنية، فيشكل بذلك شخصية كأنها حقيقية : تأكل ، تشرب وتتحرك... لتجعل بذلك القارئ يغوص في عالمها كما لو أنَها تشارك معه الأدوار في الواقع، وتحسه بمشاعر مثلما تتميز بحضور زماني ومكاني، لذلك نجد **يمني العيد** يعرفها قائلا: "وبالتالي يفترض أشخاصا يفعلون الأحداث ويختلطون، بصورهم المروية،مع الحياة الواقعية. والفعل هو ما يمارسه أشخاص بإقامة علاقات في ما بينهم ينسجوها وتنمونهم، فتتشابك وتتعقد وفق منطق خاص به"[1].

إذن فاختلاف الأدوار بين الشخصيات هي التي تخلق علاقات تجمع بين بعضهم البعض. أما **رولان بارث Roland Barth** في كتاب **حميد لحمداني** يصفها :" بأنها نتاج تأليفي ، وكان يقصد أنَ هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى علم تكرر ظهوره في الحكي"[2]. بمعنى أن الشخصيات هي تأليف من طرف الكاتب التي يوزعها حسب دورها في النص ، وقد يتكرر وجوده أكثر من مرَة أو مرتين داخل النص، حيث يقال أنَ: "الشخصية هي مجموع الصفات التي كانت محمولة للفاعل من خلال الحكي ويمكن أن تكون هذا المجموع منظم أو غير منظم[3]، وبالتالي فالشخصية تتشكل عندما تجتمع صفات كثيرة لتشكل وجه واحد.

وفي نظرة أخرى يقول **إبراهيم فتحي:**" الشخصية في المعنى الشائع هي مجمل السمات والملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي"[4]، أي الشخصية حسب معناها المتداول هي تلك الملامح التي تشكل شخصية كأنَها حقيقية. فهي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وهي عموده الفقري الذي يرتكز عليه"إذن فالشخصية هي القاعدة الأساس التي يبنى عليها العمل الروائي.

لذلك نجد أنَ الكاتبة قد استعانت في نسج أحداث رواية **رائحة الذئب** بجملة من الشخصيات، ولعل من أبرز الشخصيات التي شاركت في بناء هذا العمل الروائي ما يلي:

---

[1]– يمني العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، دار الفرابي ، ط1، بيروت–لبنان، 1990، ص42.

[2]– حميد لحمداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدب)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، ط1، بيروت ، 1991، ص50–51.

[3] – تزفيطا دتو دوروف: مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، 2005، ص74.

[4] – ابراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، طبع التعاضدية العالمية للطباعة والنشر، ع1، صفقي، تونس، 1986، ص210.

-**سارة:** فتاة جامعية وهي عضو من أعضاء الفرقة المسرحية كما تعمل أيضا كنادلة في أحد المطاعم في باريس. كانت تعاني من قلق وإرهاق وتوتر بسبب هويتها التي أخذوها أثر اعتداء على أمها، فتقول:"إذن أنا سارة بنجامين الشاهد على الجريمة، التي لا يقدر أحد على محو آثارها، إنني -ببساطة- مثل زهرة الحقيقة قد تغمس لسنوات في رماد النسيان، لكنها لا تلبث أن ترفع رأسها من قلب الظلام، فقط من أجل أن تزهر...أنا اللطخة الحمراء ،والداء المزمن، هل قلت إني البذرة الخضراء في ربيع الذاكرة؟وشاهدة القبر المنقوشة بيد مرتجفة،التي تصرخ ضد الجريمة:أنا اللوحة المرمية المصقولة ذات الخط المشوش المحصنة ضد النسيان"[1]، تواصل قائلة: "أولئك الذين انضمروا بلا أسماء أو هويات مثل بذور الخريف في أرض الدم والدموع، تحت رماد آلة الموت الجماعي، هذه أنا- سارة بنجامين-سليلة هؤلاء ...مزيج من الدماء الناشرة التي تكون النهر الذي يشق الأرض من الشرق إلى الغرب، دماء تتنافر، دماء ما كان لها أن تتمازج في أصلها، ومياه ما كان لها أن تجتمع، ما كان على الحوض أن يلتقي مياها قذرة،لولا لعنة الحرب، ما كانت البويضة الحرام العالقة عند منعرج الشك .."[2]، نتحسس من خلال هذا القول أسف سارة على حالتها التي هي فيها، وعن المزج الذي حدث بين فصيلتي دماء التي ما كانت تمتزج أصلا لكن لا يمكن محو الزمن مهما كلّف الأمر.

-**راشيل بنجامين:**احتلت هذه الشخصية مكانة غامضة منذ بداية أحداث الرواية كونها شاركت في إخفاء الجريمة التي قام بها زوجها خلال ثورة الجزائر فبعد مماته خلف لها أثر كبيرا فأصبحت تقوم بسلوكات غريبة، فتقول سارة واصفة إيَاها:"على كل لم تنتزع راشيل جميع أقنعتها، لعلها لم تجد الوقت الكافي لتفعل أو على الأرجح لم تجد الشجاعة الكافية، من يدري؟..ذلك أن راشيل ليس لديها معارف أو أصدقاء أو أقارب تبدو امرأة مكتفية بذاتها، لا أذكر أبدا أنَها استقبلت شخصا غيري في بيتها.."[3]، يتضح أنَّ راشيل ليست فقط بغامضة بل أكثر تعقيدا لدرجة لا تستقبل أحدا في بيتها غير سارة.

تواصل سارة قائلة: "كانت حياتها فارغة تقريبا، إنَها حياة بلا مجد وبلا هدف، ولعل مجدها الوحيد هو أنا...، ولكن لا أعتب على حركاتها الغريبة، حركات تتجاوز ما تمتلك من قوة متهالكة، ها هي تفتح الباب على مصارعيه وتأذن نحو الداخل حيث العتمة ورائحة الرطوبة والتمثال الشمعي، مثل سحلية عليها

[1]- سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص 11.

[2]- المصدر نفسه ، ص 12-13.

[3]-المصدر نفسه، ص 18.

أن تعيش بياتها الشتوي"[1]، إنَ راشيل تعيش حياة ليس لها طريق يؤدي بها لهدف ما، فقط تنطوي في الأماكن المظلمة تفوح منها رائحة تشبه الرائحة المتعفنة من شدة الرطوبة التي فيها كما أنها تكتفي بنور ينبعث من التمثال الشمعي. وتقول أيضا: "ولأن أمي كانت امرأة قليلة الكلام، فلم يكن من اليسير اقتلاع الكلمات من لسانها،كما لو كانت تتستر على أسرار التركيبات الكيميائية المحرمة، لهذا كانت تختصر المسألة في جملة تطلقها عبثا دون مراعاة العواقب"[2]، نستشف من خلال ما قالته سارة بخصوص أمها أنَها كانت سيدة لا تكثر الكلام ، فإذا أرادت قول فكرة ما تختصرها في جملة والتي من الصعب إخراجها من لسانها . تستبين هذه العبارات أنَ راشيل بنجامين تمر بكبت داخلي أو كما يقال حالة نفسية حادة ، التي سببتها تلك الأفعال التي مارستها هي وزوجها رومان فمن تلك الحادثة التي قام بها في حق نوارة وكل تلك الحقائق التي خبأتها أيضا على سارة أدخلها في دوامة الضغط المستمر ثم تخرج على شكل سلوكات غير طبيعية.

-**أحمد:** تعتبر هذه الشخصية من بين الشخصيات البارزة التي شاركت في مسايرة أحداث الرواية، والتي لها الحظ الوافر فيها. كان "أحمد" شاب في عمر الثلاثينات يعمل كطباخ في مطعم تونسي لدى عائلة عربية، في قول سارة: "في مطعم البركة تعرَفت إلى أحمد طباخ المطعم، شاب أسمر قال إنَه يحمل شهادة الليسانس من بلاده، تخصص علم الاجتماع"[3]، فأحمد حسب ما وصفته سارة، أنَه شاب وسيم ذو بشرة سمراء، مثقف،حامل لشهادة الليسانس في علم الاجتماع ويعمل أيضَا كطَباخ في مطعم البركة.

كما كان أحمد يتغنى بخلق وحسن التربية جعلته يتمسك بالدين الإسلامي بالرغم من أنَه يقطن في ديار الغربة إلا أنَ هذا لم يعيقه بتخلي عنه، وعن لسان سارة فتقول: "شيء آخر صدمني، اللحم الحلال، بمعنى أنَ الحيوان وهو عادة خروف أو بقر أو دجاجة أو ما شبه،.. وهكذا فهمت بعد فوات الأوان أنَ المطعم مخصص للمسلمين...، والحقيقة أني استغربت في البداية، وأعرضت عن تذوقه ، لكن أحمد ألح وشجَعني مستدينا بجملة من المعارف العلمية حول فوائد اللحم الحلال"[4]،كشف لنا هذا المقطع أنَ أحمد وهو يعلم سارة الفرق بما هو حلال وبما هو حرام، أنه شديد التمسك والصلة بكل ما يتعلق باسم الدين.

---

[1]- سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 20.

[2]- المصدر نفسه، ص 57.

[3]- المصدر نفسه ، ص55.

[4]- المصدر نفسه ، ص64.

من جهة أخرى نجده يفتخر بعادات وتقاليد وطنه، وهذا ما أظهرته سارة حين عرض عليها أحمد تناول العشاء في مطعم البركة،قائلة:"كان الطعام لذيذا، اصطحبني أحمد إلى المطعم ذاته مطعم البركة، ولكن هذه المرَة كزبون يحتفل به المطعم الذي قدَم عشاء خاص مكونا من الكسكس بلحم الخروف وطاجين الزيتون، قال أحمد: هذه الأطباق المفضلة في أعراس شرق الجزائري، واو كنت في البلاد لكان هذا هو الطعام المقدم، ربما كانت أمي ستفضل الشخشوخة"[1]، يتبين من خلال هذا القول أنَ أحمد من الشخصيات التي تغنت بعادات وتقاليد وطنها، وهذا من خلال استحضاره لأشهر الأطباق التي يزخر بها شرق الجزائر لكي تتعرف عليها سارة، وهذا قد شكَل له مفخرة كبيرة.

كما نجده أيضا لعب دور المساعد للبطلة سارة فيما يخص قضية بحثها عن هويتها وعن نسبها الحقيقي، لهذا فقد نجده قد رافقها إلى الجزائر باحثان بذلك عن هويتها وعن أهلها البيولوجيين، وعند وصولهما إلى تلك القرية التي حدثت تلك الجريمة، قائلا: "اسمي أحمد وهذه حورية زوجتي، جئنا من أجل قضية مهمة جدا، قضية مصيرية ،نتمنى أن تمدوا لنا يد العون، جئنا من فرنسا خصيصا للبحث عن أمها، المرأة التي ألقت بها فوق عتبة الحياة، وأدارت ظهرها تاركة طفلتها تصرخ في العراء"، من هنا نفهم أنَ أحمد لم يكن فقط زوجا لي سارة بل كان مدافعا عن حقها اتجاه تلك القضية ومترجما لها. فشخصية أحمد من الشخصيات الديناميكية في الرواية وأكثرها تثقفا وقربا للشخصية البطلة.

-**ذهبية:** عجوز القرية أو كما يدعونها في كاف الحمام أم القرية، لعبت ذهبية دور الساردة الثانية والشاهدة على ما حدث في تلك القرية أثناء الاحتلال. في قول سارة: "ربما نذهب إلى بيت ذهبية، تلك العجوز ترقد على جميع الحقائق ونستمع لحكاياتها فقط،.....نعم ممكن، العجوز ترقد على مئات الحكايات، قالت لنا إنَها أم القرية"[2]،على حسب ما قالته سارة أنَ ذهبية هي العجوز الوحيدة التي تعرف أسرار وحقائق تلك القرية لهذا فيلقبونها أم القرية لأنها هي التي كانت تستقبل أطفال القرية وهي التي تنقر على بطونهم وتدهنهم ببعض من القطران وزيت الكانكي..

لهذا تروي ذهبية ما حدث في تلك الفترة، فتقول:" كانت النار قد التهمت كل شي: البساتين والحقول وأتت على قطعان الماعز والبغال والأحمرة، لم تترك راجمات الموت أي اثر يدل على الحياة، البشر والحيوان وحتى الحجارة صهدت وانفجرت من هول جهنم، تلك أرض الدم والدموع، كيف ينسون أوشام

[1]- سامية بن دريس: رائحة الذئب ،ص 64.

[2]- المصدر نفسه، ص 137.

السفود المخطوطة فوق أجسادنا؟...لمحمد ورفقائه لعيشة ولنوارة وفتيحة ولمصطفى وقويدر، كلهم ذهبوا هكذا لمجرد نزوة، الطائرة الصفراء اللعينة، رمدتهم جميعا في الحفرة.."[1]، تكشف هذه احد الممارسات التي قام بها الاحتلال الفرنسي الذي لم يفلت الأخضر واليابس، الحيوان والإنسان بل دمرّ كل شيء صادفه أمامه.

وتواصل القص فتقول لأحمد: "أترى تلك الآلة الحدباء الصدئة، تلك هي آلة الموت الرهيبة التي نفستهم أحياء تحت التراب، لم ينج غير لخضر ولد الدراجي"[2]، تستذكر ذهبية الآلة التي اعتراها الصدئ والتي استخدمها الاستعمار في تلك الفترة.

وتظهر في قول آخر وهي تدعو على جوزيف رومان، قائلة:" ربي يشوي لحمه في جهنم أعمال تفوق أعمال الشياطين، وكلما كان هو قائد التمشيط تضاءل أمل النجاة، ويصبح ضيقا مثل عين الإبرة، والمحظوظ من ينجو من قهره، سيأخذ الرجال إلى آلة العذاب فهي النهاية المحتومة..."[3]، يكشف هذا القول مدى كره ذهبية لجوزيف رومان، لدرجة أنّها كانت تدعو له بجهنم بسبب تلك أعماله الشيطانية التي قام بها اتجاه أهل القرية.

هذه من بين الممارسات التي صورتها ذهبية في الرواية ما جعلها تحتل مرتبة الروائية أو الساردة بفضل ما روته في تلك الصفحات التي تطلعنا عليها.

-**عمي لعرج:** كان عمي لعرج احد الضحايا التي خلفتها الثورة ، حيث نجده يشهد حول معاناة تلك الفترة فيقول: "بتثقال شديد، فتحت عينين واهنتين تسبح مقتلهما في ماء تشوبه حمرة القلق والإعياء، ثم عدت وأسدلتهما على عجل فيما يشبه الصدمة، للحظات بقيت على تلك الوضعية مثل هر خائف، وبشيء من الشجاعة، عدت لأفتحها من جديد... هذه المرة وجدت الشجاعة الكافية لفتح عينيَ الاثنين، فركتهما بظاهر قبضتي وأزحت القلنسوة قليلا نحو الخلف. أدرت بصري في العتمة ثم أسندت ظهري بتثقال للجدار...، جذبت رجلي فأحسست بألم مزعج في يمناي، تململت في مكاني عاجزا عن تحريكها.."[4]، يتبين هنا أن عمي لعرج من شدة الإصابة التي تلقاها جعلته لا يتمكن من التحرك فاترة

[1]-سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 140.
[2]- المصدر نفسه ، ص 141.
[3]-المصدر نفسه ، ص 142.
[4]-المصدر نفسه ، ص144-145.

يجمع قواه ليقف على رجليه حتى يلقى نفسه مطروح إلى الأرض. ويواصل في قوله:" فاتكأت على الجدار الكهف وحاولت أن أقوم، لكن رجلي خذلتني ، لم أجرؤ على النظر إليها ، أيقنت أني محاصر بهذا الجرح الذي مثل مسمار صدئ يغرز في ضميري، لم يكن ألمي سهل الاحتمال، ولكن الألم قد يتضاءل عندما يقارن بالموت،....هذا الألم أقسى من الجوع وأقسى من الحزن، أقسى حتى من يوم وفاة والدي السي طالب، وأقسى حتى من وفاة زوجتي خدوجة.....صدقوني مازلت تلك الغصة إلى اليوم"[1]،يبدو أنَ حالة عمي لعرج قد زاد عليه الألم ، ألم لا يقارن بذلك الذي عاشه عندما فارق سي طالب وزوجته .

يقول أيضَا: "الأدهى أني رأيت روحي تنفصل عن جسدي الهالك المثخن بالجراح، حيث راحت الدماء تنز من كل مكان ، من رأسي ومن بطني ومن دبري. في تلك اللحظة التي كنت أتأرجح فيها بين الحياة والموت، بزغ نور، للمرة الأولى في حياتي أرى مثل ذاك الوميض، رأيته مثل خط رفيع أبيض، ومثل سلك فضي لامع..."[2]، نفهم من خلال هذا المقطع أنَ إصابة عمي لعرج قوية كما لو أن روحه تقتلع من جسده المليء بالجروح فالدماء تسيل من كل مكان، وبينما هو بين الحياة والموت انبثقت نور متجهة نحوه كما لو أنَ الله أحياه مرة أخرى بعد أن ظن أنها النهاية.

إن شخصية لعرج دليل قاطع على ما فعلته فرنسا في الشعب الجزائري، فقد ساهمت بكل وسائلها المتوفرة للتعذيب شعب لا ذنب له فلم تفلت صغير وكبير فكل من يحمل هوية جزائرية عذب وقتل وتشرد.

-**جوزيف رومان:** تعتبر شخصية **جوزيف رومان** من بين الشخصيات اللعوب، التي أخذت حظها الوافر من أحداث الرواية وذلك عبر كشفه لوجهه الماكر الذي أظهرته تلك الأفعال التي قام بها خلال احتلاله للجزائر، وهو ينادي أحد جنوده قائلا:" -الزجاجة يافرنسوا-كان ذلك صوت رومان اللعين باردا وعاريا من المشاعر، لا يحن ولا يرحم"[3]، بدا لنا جوزيف بصورة وحشية وعنيفة وهو يؤدي مهامه اتجاه سكان كاف الحمام.

[1]- سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 145.

[2]- المصدر نفسه، ص146.

[3]-المصدر نفسه، ص 153.

ويأمر أيضا في قوله:" صب الماء البارد عليه يا فرانسوا حتى يتلذذ بدغدغة الزجاجة"[1]. إنَ التعذيب بالزجاجة حسب ما قاله أحد رجال كاف الحمام يشبه ذلك العذاب في جهنم نظرا لألمها الغير المقاوم، لكن جوزيف راح في لامبالاة لا يهمه كل هذا بل هدفه هو رؤيتهم يتعذبون حتى تمنون الموت.

وتضيف الساردة في قولها:" والزجاجة تمضي في داخله لتمزق أحشاءه، بحياد تمضي الزجاجة حادة وباردة مثل قلب الفرنسي رومان الذي جاء صوته من حفرة عميقة:- اسحب الزجاجة الآن يافرنسوا"[2]، بدت أعصاب رومان بالبرود وهو يأمر فرنسوا بوضع الزجاجة داخل أحشاء الرجل الممسكين الذي لم ينجو من أفعالهم.

وتقول وهي تصف حالة رومان: "ارتفعت أنفاس جوزيف رومان وبدلا من إصدار الأوامر صار ينفذها واقفا، ثم التقط الزجاجة بيأس ودفعها في دبر الرجل، الذي اهتز كما لو كان تحت تأثير صدمة الكهرباء .."[3]، إنَ رومان ما زال مصرا بالعبث بالزجاجة فبعد أن كان يعطي أوامر أصبح هو من ينفذها .

وتقول في عبارة أخرى: "ركله في بدنه وبين رجليه وفوق ظهره، كأنما يركل كومة من الأثواب البالية ركله بحقد قرون، بأنفاس متقطعة وصوت متحشرج من الغضب مثل انكسار آلية وعواء كلب مسعور.."[4]، نستشف من هنا أنَ جوزيف رومان أكثر وحشية لحد أن أصبح الناس عنده كالكومة المتبللة من اللباس وهو يركلها دون بذرة من الشفقة ولا عطف اتجاههم فقد أخرج كل ذلك القد والبغض الذي خبأه لسنين التي لم يجد الفرصة أن يخرجها.

أظهرت هذه المقاطع حقد وكراهية وأنانية جوزيف رومان اتجاه الشعب الجزائري، كما كشفت لنا كل تلك الوسائل التعسفية التي كان يمارسها خلال فترة الاحتلال من ضرب وركل وتعذيب ..

-نوارة: امرأة شابة وقعت ضحية اعتداء أحد العساكر الفرنسيين أثناء الفترة الاستعمارية شهدت نوارة أبشع أنواع الظلم والبؤس بل وحطموا أحلامها وتركوها جثة حية على الأرض فمن تلك اللحظة التي بدأ رومان محاولة التسلل إليها كحيوان جائع وهو يراقب فريسته من بعيد، في قول الساردة: "في التمشيط السابق منذ

---

[1]- سامية بن دريس: رائحة الذئب ،ص 153.

[2]- المصدر نفسه، ص155.

[3]- المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[4]- المصدر نفسه، ص 156.

أسبوعين–صارت القرية مستهدفة منذ سرت أخبار بأن جماعة ابن مالك يرابطون هناك وبأن الكازمة في بيته– كان قد نظر إلى ابنتها مثل الكلب الجائع، .....وعلى الرغم من أنها اجتهدت مثل نساء القرية في صبغ وجهها ووجه ابنتها بالدخان الأسود من بقايا رماد الطاجين، ومن روث الحيوانات، وعلى الرغم من قشابية أبيها الصوفية المهترئة ذات اللون البني الكالح، فقد انتبه إليها ... وعندما رأت اللعاب يسيل من فم الكلب نحو قطعة اللحم، ... رآها تقيم السد بينه وبين الفريسة فصفعها اللعين صفعة قوية أسقطها أرضا"[1]، نستنطق من خلال هذا السياق أنه بالرغم مما كانت تضعه ذهبية لابنتها من صباغة واللباس التي كانت تلبسه بهدف إبعاد نظرة رومان عليها إلا أنَ هذا لم يجدي بغرض ولم تفلت من يده، فقد كان ينظر إليها بنظرة ثاقبة وحادة وبينما هي لاحظت تلك النظرة وذلك العاب الذي كان يسيل من فمه قام بضربها ضربا أسقطها على الأرض.

ذهبت وناسة اتجاه ذهبية لكي تخبرها عن حالة ابنتها، فتقول لها:" فات الأوان يا ذهبية تدفقت المياه القذرة نحو رحم ابنتك، ماء مهين تدفق في رحم الفتاة التي بالكاد تعرف جسدها الجديد"[2]، اندهشت ذهبية حول ما حدث لابنتها نوارة، فقد حدث ما كانت خائفة من أنَه أن يقع. أصبحت حالة نوارة تتأزم حالتها النفسية من تلك اللحظة التي حدثت فيها تلك الجريمة. فأصابها بعد ذلك مرض نفسي يدعى بالشيزوفونيا.

ولعل هذه هي أهم الشخصيات التي استحضرتها هذه الرواية، والتي استعانت بها الروائية لإبراز قضية الهوية، والهدف من ذلك ليس فقط في عرض الأحداث وسردها ببلاغة أدبية بل لأنها تحمل في ثناياها جمالا إبداعيا ولغة تكشف قدرات الكاتب في إيصال رسالته التي تأثر على مخيلة القارئ .

4. التمثلات الثقافية في الرواية:

تعتبر الثقافة مرآة عاكسة للصورة الحقيقية لحالة الأفراد داخل المجتمع، وهي مجموعة من المعارف الإنسانية للفرد والتي تساهم بشكل كبير في التأثير على الإنسان والمجتمع، وهي عنصر مهم في بناء أي مجتمع فلا يمكن تعديل أو تغيير سلوك الإنسان إلا بها، كونها تساهم في رفع الأفراد في العديد من المجالات، وكذلك تعتبر وسيلة للقضاء على الجهل، وثقافة الشعب هي الميزة التي تجعله مختلفا عن

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 126–127.

[2]– المصدر نفسه ، ص 130.

عيره ويمكن اكتساب الثقافة من خلال التعليم الذاتي، من هنا نطرح سؤال كيف تمثلت الثقافة في رواية "رائحة الذئب" لسامية بن دريس؟

أ. تعريف التمثلات:

ورد في معجم لسان العرب معنى "المثل" بقوله: "الشبه يقال مثلُ ومثلَ وشبه بمعنى واحد"[1]، نستنتج من هذا القول أن التمثيل هو التشبه بصورة ما.

ذكرت أيضا لفظة التمثيل في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾سورة النحل، تدل لفظة المثل في هذه الآية الصفة في الحسن أو القبح، والمراد بمثل السوء أي أفعال المشركين القبيحة والله المثل الأعلى، أي الصفة الحسنة بأنه هو الأفضل والأطيب والأحسن والأجمل.

يعرف المثل أنه: "صورة الشيء الذي تمثل صفاته والقالب أو النموذج الذي يقرر على مثله"[2]، ويعرفه كانط على أنه :"صورة عقلية كاملة تجاوز معطيات الحس وتصورات الذهن"[3]، أي أن المثل بمعنى التصورات وهي عملية يستوعب فيها الذهن المعطيات.

نستخلص أن التمثلات جمع تمثل، وهي التصور السابق أو المعلومات الأولية عن موضوع أو قضية ما.

ب. تعريف الثقافة

تعرف الثقافة أنها "السلوك الثقافي يتجلى أيضا في الأخلاق والعادات والتقاليد بمختلف مظاهرها (طريقة الأكل والجلوس والنوم واللباس والتحية والآداب العامة وما إلى ذلك، وبعبارة واحدة الثقافة هي كل ما يضاف إلى الطبيعة"[4]، يعرفها مرغريت ميد بأنها: "نعني بالثقافة مجموع السلوكات المكتسبة التي ينقلها أفراد مجموعة ما تربط بينهم تقاليد مشتركة إلى أبنائهم"[5]، وأشار إليها أيضا رالف لنتن على أن "الثقافة

[1]– ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، ط1، القاهرة،ص 4158.

[2]– جميل صلبيا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ،د.ط، بيروت، 1982ص 1104.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994، ص 123.

[5]– المرجع نفسه، ص 124.

هي المظهر الخارجي للسلوك المكتسب ولنتائجه، السلوك الذي يشترك في العناصر المؤلفة له أفراد مجتمع ما ويتناقلونها"[1]، يتضح لنا أن الثقافة عبارة عن مجموعة من المعارف المكتسبة وهي سلوك اجتماعي تتدخل فيه العديد من المظاهر المختلفة كالأخلاق والعادات والتقاليد.

يرى **إدوارد سعيد** الثقافة: "تعد مصدر من مصادر الهوية، وهي مصدر صدامي أيضا، كما نراها الآن في حالات الرجوع إلى الثقافة والتراث"[2]، على ضوء هذا القول نفهم أن هناك علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة ولا يمكن الفصل بينهما، فلا هوية بدون منظور ثقافي.

تظهر الهوية كتمثل ثقافي "تتشكل الهوية داخل نسق ثقافي بل إن وظيفتها هي أن تعكس ذلك النسق وتمثله وتحمله، وهي تعني بذلك أنها نظام اجتماعي، طالما أن ما يشكل هوية الفرد من اسم ومكان ميلاد ومكان العيش ولغة وديانة وأفكار، يكتسبها داخل مؤسسات اجتماعية، تلعب الثقافة دورا حاسما في نحت الهوية الثقافية للأفراد والجماعات"[3]، من خلال هذا المنظور يتبين لنا دور الهوية وتفاعلها داخل الأنساق الثقافية المختلفة، ويتجلى ذلك بصورة واضحة تسمى بالهوية الثقافية من خلال تثبت وجودها.

تعتبر الرواية الجزائرية مرآة تعكس تجارب ومعاناة الشعب الجزائري، ورغم حداثتها في الظهور والنشأة إلا أن ذلك لم يمنع الروائي من أن يطرح مختلف المواضيع التي تعالج شتى أشكال الحياة اليومية والاجتماعية والنفسية للأفراد، في محيط تحكمه، كالتراث والثقافة التي تلعب دورا رئيسيا في بناء وتنمية المجتمع، وتمنح للفرد الشعور بالانتماء وتوفر الاستقرار، وتسهل للأشخاص التواصل فيما بينهم، وتعرف على أنها مجموعة من السمات التي يتصف بها المجتمع كاللغة والدين والطعام والتقاليد والفنون والموسيقى، حيث تحدد هوية المجتمعات وتعززها.

تعاطف العديد من الروائيين مع هذه المواضيع واهتموا بدراستها والكتابة فيها كونها تعتبر وسيلة لإبراز الهوية الجزائرية والتعبير عن تجارب الشعب الجزائري، وتعد الروائية "سامية بن دريس" من الروائيين الذين ساهموا في الكتابة عن التمثلات الثقافية في روايتها "رائحة الذئب".

---

[1]– جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، الصفحة نفسها.

[2]– صلاح السروي: المثاقفة وسؤال الهوية، مساهمة في نظرية الأدب المقارن، دار الكتب للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 2012، ص 50.

[3]– لونيس بن علي: الهوية الثقافية من الانغلاق الإيديولوجي إلى الانفتاح الحواري، قراءة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" للروائي الجزائري عمارة لخوص، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، ص 175.

عبرت الروائية "سامية بن دريس" عن الثقافة الجزائرية في ذكرها اللباس التقليدي الذي يعتبر من مقوماتها التي تبرز مدى تمسك الفرد الجزائري بهويته وتراثه في قولها: "في تلك الليلة الأخيرة التي رأيت فيها وجه أبي، مد يده من تحت قشابية الصوف البنية الغامقة"[1]. "برنوس أبي الدافئ"[2]، "بلغنا السهل الأسود الممتد فيما راح هواء بارد يلسع وجهي واطرافي، لم أرتد القشابية لأن الخريف بدأ يومئ من بعيد ولم يحن موسم البرد على كل حال"[3].

وظفت الروائية لباس البرنوس والقشابية اللذان يعتبران من اللباس التقليدي الرجالي الذي مازال الرجال الجزائريين يرتدونه رغم تاريخه الممتد وتنوعه شكلا ولونا، وهو عبارة عن معطف طويل من الصوف، له غطاء رأس وليس له أكمام، يكون مفتوحا من الأسفل إلى أعلى الصدر، توارثه الآباء عن الأجداد، وهو رمز للشهامة والوقار. أما القشابية لباس رجالي شتوي مصنوع بأيادي نسائية من صوف الأغنام، يعتبر هذا اللباس مساعدا على مقاومة البرد القارس.

وظفت أيضا الأكلات الشعبية التي تعتبر من مقومات الثقافة الجزائرية في قولها: "تعد العشاء للرجال كسكس القمح باللحم والقديد"[4]، "قدم عشاء خاصا مكونا من الكسكس بلحم الخروف وطاجين الزيتون، قال أحمد هذه هي الأطباق المفضلة في أعراس الشرق الجزائري ولو كنت في البلاد لكان هذا هو الطعام المقدم، ربما كانت أمي تفضل الشخشوخة"[5]. "حول جفنة صغيرة من الطين حيث كورت بها كويرات من بوخمر الأسود بزيت الزيتون"[6].

تزخر الجزائر بالعديد من الأكلات الشعبية التي لها حكايات من التاريخ، ويعتبر الكسكس والشخشوخة والطاجين من أشهر الأكلات الشعبية، وهو طبق للأفراح والمناسبات كون الكسكس سيد الأطباق التقليدية معترف به كطبق وطني.

---

[1]– سامية بن دريس: رائحة الذئب، ص218.

[2]– المصدر نفسه، ص 194.

[3]– المصدر نفسه،ص175.

[4]– المصدر نفسه، ص 114.

[5]– المصدر نفسه، ص 64.

[6]– المصدر نفسه، ص 179.

ذكرت أيضا الطمينة في قولها: "ذكرت الطمينة أمامه ذات رمضان كان جائعا"[1]، والطمينة حلوى جزائرية تقليدية تقدم في المناسبات والأعياد.

تعرفنا أيضا على الطب التقليدي الذي يمثل الثقافة الجزائرية، في قولها: "صبت بحرص شديد قطرات من الزيت الدافئ والنعناع في أذنيها قبيل النوم، إلا أن الطنين عرف حالة من الهياج عند منتصف الليل"[2]، "مسدت المرأة جسد الصبية ودهنت شعرها بزيت الزيتون الدافئ"[3]، "مسحت الجراح بقطعة ثوب قديم لكنه نظيف وذرذرت الزعتر المسحوق والحناء عليها"[4]، "سقيناها قنوش من القرفة الساخنة، سال على على أطراف شفاهها، فمسحتها العجوز ودثرتها بالغطاء الصوفي"[5].

نستخلص من هذه الأقوال أن الطب التقليدي هو مجموعة من المعارف والمهارات والمعتقدات والخبرات الأصلية للثقافات المختلفة، تستخدم في الحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية، تتضمن الأدوية النباتية والحيوانية، زيت الزيتون هو زيت ناتج عن عصر ثمار الزيتون يستخدم لعلاج العديد من الأمراض، إضافة للزعتر والقرفة لعلاج الالتهابات والجراثيم الموجودة في الجسد.

أما الحناء عبارة عن الموروثات القديمة، لم يكن يخلو بيت من بيوت الجزائريين من رائحة شجيرة الحناء، لها أهمية عند النساء قديما، كونها مادة للتزيين وقبل أن تكون للزينة ومادة للتجميل كانت تستخدم لعلاج بعض الأمراض.

أبرزت سامية بن دريس في الرواية بعض الأبعاد الثقافية للهوية الجزائرية التي تتمثل في الاحتفال بيناير في قولها: "أمي تحضر عجين الفطير تدهنه بالزيت، ترفعه فوق ذراعها نحو طاجين النمرة، وها هو أبي يسن السكين وها هم الأطفال يطاردون الدجاج أراهم واسمع ضجيج ضحكاتهم وصراخهم، وطيران الديك الأحمر ووقوقة الدجاجات خلفه، كل كاف الحمام صنعت الفطير ذبحت، الدجاج كله مر تحت سكين أبي احتفالا برأس العام يناير"[6]، يناير هو رأس السنة الأمازيغية، طقوس احتفالية شعبية ذات

[1]– – سامية بن دريس: رائحة الذئب ، ص 194.
[2]– المصدر نفسه، ص 101.
[3]– المصدر نفسه، ص 110.
[4]– المصدر نفسه، ص 125.
[5]– المصدر نفسه ، ص 108.
[6]– المصدر نفسه، ص 196.

دلالات رمزية تعكس ارتباط الأمازيغ بأرضهم واحتفالهم بهويتهم الممتدة عبر التاريخ من خلال إعداد أطباق خاصة وتنظيم تجمعات بين العائلات والجيران.

برزت في الرواية أيضا بعض الأمثال الشعبية التي تعد أحد أشكال الموروثات الشعبية المتميزة عن باقي الأشكال الشعبية الأخرى، كونها تحمل دلالات اجتماعية وثقافية عن المظاهر الحياتية في المجتمع، تحمل قيما وأحكاما تعكس الواقع المعاش والتجارب الإنسانية في قول الروائية: "سعدك يا فاعل الخير"[1]، "عيش تشوف آخر الزمان"[2]، "الراقد ما عطاتو مو الكسرة"[3].

شكلت الأمثال الشعبية مكونا من مكونات الثقافة، من خلالها نتعرف على خصائص المجتمع وعاداته وتقاليده، ظلت مستمرة في مجتمعنا الجزائري باستمرار الأفراد بتداولها.

إن البحث في الثقافة الشعبية الجزائرية أمر ممتع ومشوق، حيث تمكنت الرواية الجزائرية من التغلغل في عمق الموروث الشعبي بكل أنواعه، هذا ما لاحظناه من خلال قراءتنا لرواية "رائحة الذئب" لسامية بن دريس، فقد أقامت بتوظيف بعض أشكال الثقافة الشعبية التي تتميز بها منطقة الجزائر من أجل إحياء التراث القديم.

[1]– سامية بن دريس: رواية رائحة الذئب ، ص 168.

[2]–المصدر نفسه ، ص 83.

[3]–المصدر نفسه، ص 200.

خاتمة

كآخر مسلك نمر به ونحن نتمم رحلتنا البحثية التي كان مزيج بين التشويق والإمتاع، التي رافقتنا طيلة هذه المسيرة، ونحن ندرس راوية رائحة الذئب ، استخلصنا أهم النقاط وهي :

-تباينت الرؤى بين النقاد من لغوية واصطلاحية بخصوص مفهوم الهوية، وتعد من أبرز القضايا التي استنزفت جهد الأدبيين والباحثين.

- يتميز عنصر السرد بالقدرة على تسريد مكونات الذات وعناصر الهوية.

- يرتبط السرد بالهوية ارتباطا وثيقا، فالفرد يحتاج إلى السرد لتأكيد وجوده.

- يقوم تحليل الخطاب الروائي بكشف أسرار النص واستخراج مكوناته.

- تعتبر إشكالية الصراع في الرواية إشكالية شائكة تجبر الباحث علة الغوص في مداخيلها.

- يمثل الصراع من أبرز القضايا التي تناولتها مختلف الخطابات الأدبية ولاسيما الجزائرية.

- يتمحور الصراع في ثلاثة أبعاد: الثقافي، الاجتماعي والنفسي.

- انطلاقا من هذه الرواية نجد أنّ الشعب الجزائري شعب محافظ ومتمسك كثيرا بعاداته .

- تمكنت رواية **رائحة الذئب** من أن تجسد صورة المرأة الجزائرية بكل حالاتها.

- تمكنت الرواية أن تكشف لنا تاريخ الجزائر عبر استحضارها لأبشع طرق التعذيب، التي مورست في حق الشعب الجزائري إبان الثورة.

- تعدد الشخصيات في الرواية جعلها أكثر حيوية ونشاطا ما زاد لها جمالا ورونقا.

- تمكنت الروائية عبر قلمها الأدبي أن تعيد لنا أهم الأحداث التاريخية، فجعلتنا نغوص فيها ونتنقل في ثناياها من لقطة لأخرى.

– حاولت **سامية بن دريس** معالجة قضية الهوية كغيرها من الأدباء الذين جعلوا من هوية موضوعا لهم نظرا لارتباطها بمصير الأمة.

1. تقديم رواية "رائحة الذئب" لسامية بن دريس

العنوان: رائحة الذئب

المؤلف: سامية بن دريس

الطبعة: الأولى

دار النشر: ميم للنشر

بلد النشر: الجزائر

عدد الصفحات: 240 صفحة.

التعريف بالمؤلفة:

سامية بن دريس كاتبة جزائرية من مواليد 16 جويلية 1971 في رجيوة ولاية ميلة بالشرق الجزائري، تعتير قلما إبداعيا واعدا في مجال الرواية، حيث حظيت رواياتها بدراسات أكاديمية على مستوى الجامعات الجزائرية، فكانت مواضيع لرسائل الدكتوراه منها: جامعة تيزي وزو، جامعة جيجل، جامعة سكيكدة، جامعة بسكرة. ومن الدراسات: فاطمة بريهوم في دراستها لرواية "بيت الخريف"، بشرى البستاني –ناقدة عراقية– أعدت دراسة حول رواية "شجرة مريم".

تابعت دراستها الأولية بمسقط رأسها ثم انتقلت إلى جامعة قسنطينة حيث حصلت على شهادة ليسانس في الأدب العربي سنة 1994، بعد التخرج التحقت بالتعليم الثانوي الذي مازالت تزاوله إلى يومنا هذا. حصلت على شهادة الماجستير سنة 2014 تخصص النقد الجزائري المعاصر من جامعة جيجل تنتظر مناقشة الدكتوراه من جامعة منتوري قسنطينة.

بدأت الكتابة مع بداية التسعينات، وأذيعت بعض القصص القصيرة في برنامج "دروب الإبداع"، كما نشرت بعض القصص على صفحات بعض الجرائد والمجالات الوطنية مثل: النصر والحقيقة والوحدة.[1]

إصداراتها:

- رائحة الذئب سنة 2015.
- شجرة مريم سنة 2015.
- أطياف شهرزاد سنة 2016.
- بيت الخريف سنة 2017.[2]

نشرت قصصها ورواياتها في عدة مواقع الكترونية: أصوات الشمال، مجلة الكلمة، القصة العراقية، الموقع الروائي، ديوان العرب. وقد نالت عنها المرتبة الثانية للقصة القصيرة التي نظمها النادي الأدبي –جامعة قسنطينة– 1993، المرتبة الثانية وطنيا للقصة القصيرة نظمتها إذاعة ميلة سنة 2012.

2. ملخص الرواية:

نسجت الروائية الرواية على شخصية فتاة متبناة تربت في عائلة فرنسية لتكتشف عند موت أمها الفرنسية، تراجيدية وجودها في الحياة، فتعود إلى الجزائر باحثة عن جذورها، من خلال هذه الحبكة نتعرف على تفاصيل الثورة الجزائرية وما ارتكبه المستعمر الفرنسي من خلال حياة القرية في الجبل شرق الجزائر "كاف الحمام"[3].

[1]– ينظر ويكيبديا (hptts://ar .wikipedia.org)

[2]– ينظر ويكيبديا(hptts://ar.wikipedia.org)

[3]– ينظر: سامية بن دريس، رائحة الذئب.

ففي هذه القرية تحديدا تقطن فتاة ذات الخامسة عشر سنة تقريبا المدعوة بنوارة التي تعيش رفقة أمها ذهبية، كانت فتاة جميلة ذات شعر طويل حريري، عينان زرقاوان، حسنة الخلق، ولكن هذا الجمال جرده الزمن بسبب اغتصابها من طرف العدو الفرنسي **جوزيف رومان**، منذ اللّحظة التي تمت فيها تسريب الماء الحرام إلى أحشاء الفتاة القاصر حملت بطفلة لمدة دامت تسعة أشهر كأي امرأة بالغة، فأنجبت فتاة سمتها حورية التي قام جوزيف رومان بسرقتها منها وقدمها لزوجته راشيل بنجامين لكي تربيها طوعا لإخفاء الحقيقة.

قامت راشيل بنجامين ذات الأصول النصرانية بتربية حورية أو كما سمتها هي سارة بنجامين فكانت ابنتها بالتبني، وكان يجمعهما حب مشوه وليس بحب حقيقي، فمهما حاولت راشيل أن تمنح لها الحب والعطف والحنان لا تصل لذلك العطف الأمومي الذي تقدمه الأم لأبنائها.

وبينما كانت سارة تطرح على راشيل بضعة أسئلة حول ماضيها تتهرب منها وتتجاهلها دائما، فهي تحاول دائما تغطي الجريمة التي شاركوا فيها جميعا ، بل أنهم شاركوا أيضا في جرائم أخرى كالقتل والحرق والتعذيب بشتى الوسائل، كلها مورست ضد الشعب الجزائري في تلك الفترة، فلم تكتف راشيل بما قامت به في حق هذه الفتاة بل كانت تحاول محو فكرة البحث عن أرضها وعن نسبها لكي لا تكتشف الحقيقة المرة التي قام بها جوزيف رومان وعصابته ولكي لا تكن شاهدة على تلك الجرائم البشعة[4].

ظلت سارة تعيش حياة مليئة بالهواجس السوداء بسبب تفكيرها الزائد الناتج عن الأسئلة التي تراودها كل لحظة: ابنة من؟ أكان أبي فرنسي أم جزائري الأصل؟ أهو مجرم حرب أم خريج سجون؟ أم متورط بقضايا إنسانية تمس الشرف؟، كلها أسئلة لا جواب لها... راحت

[4]– ينظر: سامية بن دريس، رائحة الذئب.

سارة تبحث عن ذاتها تشبه ذلك الفنان الذي يبحث عن تلك القطعة التي ضاعت منه لتكتمل لوحته الفنية أو كتلك الوردة الذابلة المتدلية نحو الأرض [5].

بعد مرور أربعين سنة تعود سارة مع زوجها من ديار الغربة متجهان نحو القرية التي ولدت فيها قرية كاف الحمام، لتفتح تلك القبور المنسية وتفتش في الأرشيفات الذي اعتراها غبار النسيان كأنَها تشبه ذلك البوليسي المكلف بالتحقيق حول قضية معينة، فهي بداية رحلة جديدة رحلة بحث وكشف عن هويتها الشخصية وعن والديها البيولوجيين. فبمجرد وصولهما إلى كاف الحمام التقيا بعجوز القرية ذهبية حكت لهما ما حلَ بنوارة من تعسف وبطش وظلم وأكثرها بشاعة اغتصابها من قبل أولئك الوحوش، الذين سلبوا منها شرفها وقتلوا كل عزيز إلى قلبها، حكاية خالدة في ذاكرة أهل القرية وتاريخ لا ينسى أبدا. فلما سمعت سارة بنجامين تلك القصة اندهشت وانصدمت. كيف كان لفتاة قاصر تتحمل كل ذلك العذاب؟ فتاة ضاع منها شبابها وسلب منها كل معاني الأنوثة أين هي حقوق الإنسان؟ أين هي حقوق الطفولة؟ أين أين أين؟ لكن العدو قطف زهرة شبابها التي بالكاد أزهرت، زهرة لم تشبع من إشراقة الشمس ولم تتحل بالأكسيجين الكافي، أصبحت حياتها صحراء قاحلة لا مدخل ولا مخرج لها.

تبقى نوارة المثال الحي عن كل الجرائم التي حدثت في قرية كاف الحمام خلال الحرب التي خلفت اليتامى والأرامل والمشردين، وحورية كانت إحدى الضحايا الذين انضرموا بلا هوية، لكن هذا لم يعقها بل قوَاها لكي تزعزع الصخرة التي حجبت شمس الحقيقة والتي لطخوها بالدم والدمار، لتكشف بأنها ابنة ذئب شرس لكن هدفها هو إثبات هذا القول بدليل علمي عن طريق إجرائها لفحص الحمض النووي، لكن ما يؤلم الإنسان هو أن يكتشف أنه كان نتيجة اعتداء أحد الوحوش البشرية، وحين تمتزج الماء العذبة مع الماء الوسخة هذا ما يقتل الإنسان .

[5]– ينظر: سامية بن دريس، رائحة الذئب.

حورية رمز للحرية والشمس التي تشرق كل صباح، بل الشجرة التي تتجدد أوراقها كل فصل أو كالبريق الذي يسطع دون أن ينطفئ مهما جرده الزمن.

3. القراءة الخارجية للرواية:

الرواية بين أيدينا بغلاف من الورق المقوى باللون الرمادي والأسود من الواجهتين الأمامية والخلفية، في أعلى الواجهة الأمامية مكتوب اسم الكاتبة باللغة الفرنسية وتحته مباشرة كلمة "رواية" بنفس اللون، تطغى على الواجهة الأمامية صورة امرأة حافية القدمين واقفة على عتبة البيت من خلفها ظلام أما من أمامها باب مفتوح ينبع منه نور شمس ساطعة، أسفل الصورة كتب اسم الرواية بخط صغير بخط رفيع باللون الأبيض.

في الجهة الخلفية للغلاف كتب اسم "سامية بن دريس" في أعلى الزاوية اليمنى للغلاف باللون الوردي، وفي أسفلها إعادة لصورة الجهة الأمامية في إطار محدد بخطوط وردية وأسفلها اسم الرواية باللون الأبيض بشكل عمودي، وفي يسار الإطار كتبت باللون الأسود عبارة: "هذه أنا –سارة بنجامين سليلة هؤلاء الذين غاصوا بأقدامهم في أغوار أرض الموت، دون أن يكون لهم الحظ في الحصول على شهادة حجرية تقول ولو بصوت خافت لأحفادهم، إنهم مروا عبر درب الحياة الأغبر ، أولئك الذين حاصرهم الموت من جميع الجهات وسدّ أمامهم المنافذ، الموت القاتم بكل وجوهه الحقيقية والمقنعة، الموتى في مملكة الحياة.

وهذا الفريق الأخير الذي أكل التفاح الحجري أكثر من غيره، طبعا مع الأخذ بالحسبان أولئك الذين ظلت أرواحهم تتخبط داخل صدورهم دون أن يقدروا على تحريك ألسنتهم بالكلمات المتكورة في دائرة القلب".

4. القراءة الداخلية للرواية:

في الصفحة الأولى كتب عنوان الرواية "رائحة الذئب"، وفي الصفحة الثانية كتبت معلومات عن الرواية من العنوان "رائحة الذئب"، اسم المؤلفة (الكاتبة): سامية بن دريس،

دار النشر: ميم للنشر، البلد: الجزائر، السنة: 2015، في الصفحة الثالثة كتب سارة بنجامين.

تتألف الرواية من 240 صفحة، عنونت الفصل الأول ب"بذور الريح" ويحتوي على سبعة أجزاء من الصفحة 23 إلى الصفحة 70، والفصل الثاني بعنوان طنين الذبابة" كذلك يتوزع إلى عشرة مقاطع، يمتد من 71 إلى 169، وبالتالي فهو أيضا انقسم إلى فقرات كل فقرة من مقطعين إلى أربعة مقاطع، ولكل مقطع خصصت له عنوانه الخاص به، فنبدأ بأول مقطع المسمى ب"الطريق إلى قبة نور" يبدأ من الصفحة 170 إلى الصفحة ، ثم يليه مقطع بعنوان "حمام الرجال" من الصفحة إلى ، والذي يحمل بدوره ثلاثة مقاطع، أما المقطع الثالث فإنه يحمل عنوان "سفود الذاكر" من الصفحة 215 إلى الصفحة 230، وبعدها تلي فقرة "حورية بنت نوارة" كعنوان آخر، التي تحمل ورقتين، امتدت من صفحة 231 حتى الصفحة 238، أما بالنسبة للمقطع الأخير الذي يحمل عنوان "خالد الذي يقتضمي" ص 239.

ملحق

القرآن الكريم

المصادر:

سامية بن دريس: رائحة الذئب، دار ميم للنشر، ط 1، الجزائر، 2015.

المعاجم :

1. إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأبدية، التعاضدية العالمية للطباعة والنشر،د.ط ،تونس، 1986.
2. أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات الاجتماعية إنجليزي، فرنسي، عربي، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت، 1982.
3. ابن منظور بن المكرم بن علي أبو فاضل جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف ط1، القاهرة ،1882.
4. جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994.
5. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
6. الشريف بن أحمد علي الجرجاني: معجم التعريفات، تح:محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ،القاهرة، د.ط،1413.
7. كامل المهندس، مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان ،بيروت، 1984.
8. مجد الدين الفيروز آبادي: قاموس المحيط،مج1، تح: أنس محمد الشلمي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث ، القاهرة، 2008.
9. مجمع اللغة العربية: معجم الوجيز، دار النشر، د.ط ، القاهرة ، 1994.
10. .....: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، القاهرة، 2004.
11. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، 2007.
12. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، ط 2،بيروت، 2001.

المراجع:

1. أبو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1998.

2. أديب الخالدي: المرجع في الصحة النفسية، نظرة جديدة، دار وائل للنشر، د.ت ، عمان، 2009.

3. ثائر غاري وآخرون: علم النفس العام، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008.

4. حسن منصور: الانتماء والاغتراب، ط1، خميس مشيط، 1989.

5. حسن الحنفي: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة الفرنسية، ط1، دمشق، 2012.

6. حسين عبد الحميد رشوان : الأسرة والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة ، د.ط، القاهرة،2003.

7. حميد لحمداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدب)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1991.

8. خالد عز الدين: السلوك العدواني عند الأطفال، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2010.

415أحمد إبراهيم لومان: أسالب تدريس اللغة الغربية، دار زهران، ط1، عمان 2010.

16 .سالم البيض: الهوية، الإسلام، العروبة، التونسة، مركز الدراسات العربية الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 2009.

9. سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي الزمن، السرد، التبئر، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1997.

10. صلاح السروي: المثاقفة وسؤال الهوية، مساهمة في نظرية الأدب المقارن، دار الكتب للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 2012.

11. عادل حسن غنيم، جمال محمود حجر: في منهج البحث التاريخي، دار المعرفة الجامعية، ط2، القاهرة، 1993.

12. عبد الله إبراهيم: السرد والاعتراف والهوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، 2011.

13. عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع، الهيئة العامة السورية للكتاب، د.ط، دمشق، 2015.

14. فتيحة عبد الفتاح النبراوي: علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، دار الأفاق العربية، ط2، القاهرة، 1996.

15. كمال دسوقي: خبرة علوم النفس ،دار الدولية للنشر والتوزيع، مج1، القاهرة ، 1988.
16. ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 2013.
17. مجدي محمد الدسوقي: مقياس الصراع النفسي، مكتبة أنجلو المصرية، د. ط، القاهرة، 1999
18. محمد شريف عباس: لمحات من كفاح المرأة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، د. ط، الجزائر، 2007.
19. محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، د.ط، الإسكندرية،القاهرة، 2006.
20. محمد عبد الكريم الحوراني: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار المجد لاوي للنشر، د.ط، الأردن، 2008.
21. محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة النشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 1999.
22. محمد عودة محمد وكمال إبراهيم: الصفحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، دار القلم، ط 3، الكويت، 1994.
23. مسلم صحيح: كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل لرفق، رقم الحديث 2593، دار الحديث، ط1 ،1991.

27.مصطفى محمد الصفطي وآخرون: قراءات في علم النفس، مركز الإسكندرية للكتاب، د.ط، القاهرة،د.ت.
28.محمود خليل، محمد منصور هيبة: إنتاج اللغة الإعلامية في النصوص الإعلامية، ط1، القاهرة، 2002.
29محمد عابد الجابري: مسألة الهوية، العربية والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية،ط3نبيروت،2006ص10.

30.نادية عيشور: الصراع الاجتماعي بين النظرية والممارسة، دار بهاء الدين، ط1، الجزائر، 2003.
31.نادية مصطفى، ماجدة إبراهيم أسامة مجاهدة: كتاب دوائر الانتماء وتأصيل الهوية، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، القاهرة، 2013.

32.هاني نعمة حمزة: شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، دراسة وفق الاتساق الثقافية، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط1، العراق، 2013.

33..هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015.

34.محمود خليل، محمد منصور هيبة: إنتاج اللغة الإعلامية في النصوص الإعلامية، ط1، القاهرة، 2002.

35..يحي بوعزيز: المجتمع الجزائري وحركة الإصلاح النسوية العربية، دار الهدى، د ط، الجزائر، 2001.

36.يمني العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، دار الفرابي ، ط1، بيروت ، 1990.

37. يمينة بشي: مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال، المركز الوطني للدراسات والأبحاث حول الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2000.

38.أحمد محمود المعتوق: الحصيلة اللغوية أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 1996.

الكتب المترجمة:

1. أليكس مشكيللي: الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، ط1، دمشق، 1993.

2. تزفيطا دتو دوروف: مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، 2005.

3. داورتي جيمس، بالستغراف روبرت: النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، تر: وليد عبد الحي، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، الكويت، 1985.

4.ملك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهدين، دار الفكر، ط4، دمشق، 2000.

5.مارتن هايدجر: الفلسفة الهوية والذات، تر: محمد مزيان، منشورات الضفاف، ط1، بيروت 2015.

6.أمين معلوف: الهويات القاتلة، تر: نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، دمشق، 1999.

7.جريني رج بارون: إدارة السلوك في المنظمات، تر: رفاعي محمد رفاعي وإسماعيل علي بسواني، دار المريخ، الرياض، 2004.

الكتب الأجنبية

1. Agus Sujanto dkk , **Psikologi kepribadain**, (Jakarta : PTBumi Aksara, 2006).Hal.

المجلات:

1. زغمو محمد: أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع4،كلية العلوم القانونية والإدارية، جامعة الشلف، 2014.
2. أحلام بن شيخ: الواقعية وصناعة رواية المهمشين في المنظورين الاجتماعي والنقدي، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،ع14،الجزائر، جوان2018.
3. ثائر رحيم كاظم: العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية، كلية الأدب، جامعة القدسية،ع1،مج8 ، بغداد العراق، 2009.
4. جمال مجناح : جدل المفاهيم في موضوعة الهامش والمهمشين، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والصطلحات المجازرة ،ع2، جامعة مسيلة –الجزائر،2017.
5. سميرة قوندي: مفهوم التهميش الاجتماعي في المجتمع الجزائري، إشكالية نظرية، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية ،ع47،جامعة باجي مختار، عنابة –الجزائر، سبتمبر2016.
6. شرقي رحيمة: الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،ع11، ورقلة الجزائر، جوان 2013.
7. كمال طهير: أسئلة الهوية في الخطاب الروائي المعاصر، الحب في حضرة الأعور الدجال لعز الدين جلاوجي –أنموذجا–، مجلة الآداب، ع 1،خنشلة، الجزائر، 2019.
8. لزهير مساعدية: في مفهوم الثقافة وبعض مكوناته، مجلة الذاكرة ، تصدر عن مخبر التراث اللغوي الأدبي في الجنوب الشرقي في الجزائر،المركز الجامعي، ع9،ميلة،الجزائر، جوان 2017.

9. لونيس بن علي: الهوية الثقافية من الانفلاق الإيديولوجي إلى الانفتاح الحواري، قراءة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" للروائي الجزائري عمارة لخوص،ع2، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية،2015.
10. محمد فليح الجبوري: الهوية السردية المفهوم والتجلي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المثنى السحاوة، مجلد 18، ع 1، العراق، 2021.
11. نبيلة فراحتية ونعيمة بوزيدي: تشظي الهوية وانشطار الذات في الخطاب الروائي الجزائري ما بعد الكولونيالي، قراءة في روايتي "الانطباع الأخير وما لا تذروه الرياح"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع 1، البليدة– الجزائر، مارس 2021.

رسائل الماجستير

1. زهير بن علي: قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1925– 1954، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2015.
2. محدب رزيقة : الصراع النفسي الاجتماعي للمراهق المتمدرس وعلاقته بظهور القلق (حالة– سمة)، دراسة ميدانية ولاية تيزي وزو، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة مولود معمري، 2011.

الملتقيات

1. أبو طارق محمد العربي: المرأة الجزائرية مشتلة الثورة وحاضنة الوطنية، الملتقى الوطني حول كفاح المرأة الجزائرية، عنابة، 9 و10 جوان 1996، مطبوعات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،

المواقع الالكترونية

1. عرين البيروني: مفهوم الصراع الثقافي، نشر: 2020/10/12، https://e3arabi.com، أطلع عليه 2024/07/19، الساعة 21:11.

المصادر والمراجع

شكر وعرفان

إهداء

إهداء

مقدمة 5

الفصل الأول: الجهاز المفاهيمي لمصطلح الهوية.....9

المبحث الأول: مفهوم الهوية.....9

1. مفهوم الهوية لغة واصطلاحا.....9
2. مفهوم الصراع لغة واصطلاحا.....12
3. الهوية في الخطاب الروائي.....14

المبحث الثاني: تجليات الهوية في رواية رائحة الذئب 17

1. صراع الهوية في الرواية الجزائرية.....17
2. طبيعة الصراع.....33
3. الهوية والسرد.....43

الفصل الثاني: رحلة الكشف عن الهوية وأزمة الصراع في الرواية.....52

المبحث الأول: الصراع والبحث عن الحقيقة.....52

1. صراع المرأة الجزائرية إبان الثورة.....52
2. النبش وراء الحقيقة.....55

المبحث الثاني: الهوية الثقافية الجزائرية في الرواية.....59

1. إثبات الهوية.....59
2. الهوية والانتماء.....63
3. الهوية والشخصية.....75
4. التمثلات الثقافية في الرواية.....83
خاتمة.....99
ملحق.....93
قائمة المصادر والمراجع.....100
فهرست.....107

ملخص:

اكتست الرواية الجزائرية مكانة وأهمية بالغة في الوسط الأدبي، كونها الأداة التي يستعين بها الأديب ليعبر عن أوجاع وآلام شعبه، وقد كانت سامية بن دريس من الروائيين المعاصرين الذين سالت أقلامهم في هذا الفن الراقي، فكوّنت بقلمها عملا إبداعيا عنونته ب"رائحة الذئب". وقد توصلت من خلال الخطاب الروائي الذي يعكس الواقع البشري إلى رصد أبرز قضية تعاني منها معظم المجتمعات وهي قضية الهوية الجزائرية إبان الفترة الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: الصراع ، الهوية ، البحث عن الذات، الرواية.

Résumé :

Le roman algérien a acquis une place et une grande importance dans le milieu littéraire, car c'est l'outil que l'écrivain utilise pour exprimer la douleur et la souffrance de son peuple. Samia Ben Driss était l'une des romancières contemporaines dont la plume s'est penchée sur cet art. , elle compose donc avec sa plume une œuvre de création intitulée « L'odeur du loup ». À travers le discours narratif qui reflète la réalité humaine, j'ai identifié la question la plus marquante dont souffrent la plupart des sociétés, à savoir la question de l'identité algérienne pendant la période coloniale.

Mots-clés : conflit, identité, recherche de soi, roman.